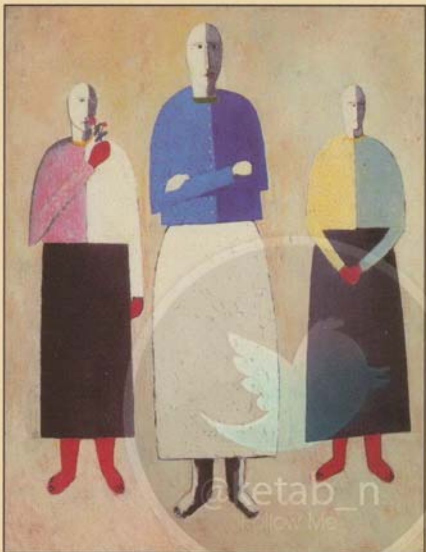
جونيشيرو تانيزاكي

# يوميات عجوز مجنون



ترجمة

خالد الجبيلي

طوى
للنشر والإعلام
منشورات الجمل

رواية

جونيشيرو تانيزاكي

# يوميات عجوز مجنون



رواية

ترجمة

خالد الجبيلي

منشورات الجمل

طوى
للنشر والإعلام

جونيشيرو تانيزاكي

# يوميات عجوز مجنون

رواية

ترجمة

خالد الجبيلي

منشورات الجمل

طوى للنشر والإعلام

Junichiro Tanizaki: *Diary of a Mad Old Man*, 1991

جونيشيرو تانيزاكي: **يوميات عجوز مجنون**، رواية، ترجمة: خالد الجبيلي
الطبعة الأولى ٢٠١٣

تلفون وفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ١ ٠٠٩٦١
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

ولـ طوى للثقافة والنشر والإعلام ـ لندن
TUWA MEDIA & PUBLISHING LIMITED
19 TANFIELD AVENUE, LONDON, NW2, UNITED KINGDOM
Email: tuwa@london.com
Tel : 00966505481425 - 00966556687678


Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

## ١٦ حزيران (يونيو)

هذا المساء توجهت إلى كابوكي. كان كلّ ما أردت أن أفعله هو أن أشاهد مسرحية «سو كيروكو»، ولم أكن أنوي البقاء حتى نهاية العرض. لم يكن كانيا الذي يؤدي دور البطولة يثير اهتمامي، بل توشو الذي كان يؤدي دور أغيماكي والذي كنت أعرف أنه سيؤدي دور محظية جميلة. كانت زوجتي وساتسوكو ترافقانني، ثم انضم إلينا جوكيشي الذي جاء من مكتبه. كنت أنا وزوجتي قد شاهدنا المسرحية من قبل، أما ساتسوكو فلم تشاهدها، مع أن زوجتي تقول إنها شاهدتها عندما كان دانجورو يؤدي دور البطولة فيها، لكنها غير متأكّدة من ذلك. لكني أمتلك ذاكرة جيدة، وأذكر أنني رأيته. أعتقد أن ذلك كان في حوالى سنة ١٨٩٧، عندما كنت في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمري، وكانت سوكيروكو آخر مسرحية يؤدي فيها دانجورو دور البطولة فيها لأنه مات في عام ١٩٠٣. كنا آنذاك نقيم في حي هونجو في طوكيو: لا أزال أذكر أنني مررت من أمام مطبعة معروفة هناك - ماذا كان اسمها؟ كانت قد عُلِّقت على واجهتها لوحة تعلن عن مسرحية سوكيروكو.

أظن أن هذه كانت أول محاولة يؤدي فيها كانيا الدور، إلا أن أداءه لم يعجبني. في الآونة الأخيرة، بدأ جميع الممثلين يكسون سيقانهم بجوارب ضيقة، تكون أحياناً مجعّدة، فتفسد التأثير المرجو تماماً. كان عليهم أن يذروا سيقانهم بمسحوق أبيض ويتركونها عارية. كان أغيماكي تسوشو يدخل البهجة إلى نفسي. قلت إن الأمر جدير بالمجيء لمشاهدتها وحدي. ربما كان ممثلون آخرون قد أدوا هذا الدور بطريقة أفضل، لكنني لم أر دور أغيماكي في هذه الدرجة من الجمال منذ أمد بعيد. وبالرغم من أنه لا توجد لديّ ميول جنسية شاذّة، فقد بدأت أشعر مؤخراً بانجذاب غريب نحو الممثلين الشباب في مسرح كابوكي الذين يؤدون أدواراً نسائية؛ لكنني لم أكن أشعر بذلك خارج المسرح. فهم لا يثيرون اهتمامي إلا إذا كانوا متبرجين ويرتدون أزياء نسائية. وإذا توقّفت عن التفكير في هذا الأمر، فيجب أن أعترف أنه يوجد لديّ ميل معين.

عندما كنت شاباً مررت بتجربة من هذا النوع، تجربة واحدة فقط. فقد كان يوجد ممثل شاب وسيم يؤدي أدواراً أنثوية يدعى واكاياما تشيدوري، كان قد مثّل لأول مرة على مسرح ماساغو في ناكاسو، لكنه بعد أن تقدم به العمر قليلاً أدى دوراً أمام آراشي يوشيزابورو. أقول «تقدم به العمر»، لكنه كان يقارب الثلاثين من العمر، وكان لا يزال يتمتع بدرجة كبيرة من الوسامة: إذ يخيّل إليك أنك كنت تنظر إلى امرأة في ريعان الصبا، ولا يخطر في بالك أنه رجل. وعندما أدى دور فتاة في مسرحية «الرداء الصيفي» على مسرح كويو، وجدتها - بل - وجدته فاتناً للغاية. وذات مرة أشرت مازحاً إلى سيدة في إحدى صالات الشاي إلى رغبتي في أن أطلب منه أن

يخرج معي في إحدى الأمسيات، وهو يرتدي الثياب نفسها التي كان يرتديها عندما كان على خشبة المسرح، بل هل يمكنني أن أرى كيف يبدو وهو في السرير، فقالت: «يمكنني أن أتدبر لك ذلك»، وهكذا فعلت! ومضى كلّ شيء على ما يرام. وكان النوم معه يشبه تماماً النوم مع فتاة من فتيات الغيشا بالطريقة المعتادة. باختصار، كان امرأة بكل معنى الكلمة (حتى النخاع)، ولم يكن يجعل شريكه يشكّ في أنه رجل. فقد جاء إلى السرير مرتدياً لباساً تحتياً حريرياً، كثير الزركشة والبهرجة؛ وكان لا يزال يضع ذلك الشعر المستعار بإتقان شديد، في تلك الغرفة المظلمة ورأسه مستند إلى وسادة خشبية مرتفعة. كانت حقاً تجربة غريبة، وكان يتقن عمله ببراعة ومهارة، مع أنه لم يكن مخنثاً، بل ذكراً له أداة رائعة. وكان أسلوبه فقط هو الذي يجعلك تنسى ذلك.

لكن على الرغم من المهارات التي يتقنها، لم أكن أميل إلى ممارسة هذا النوع من الأشياء، لذلك اكتفيت بإشباع فضولي بعد تلك التجربة اليتيمة، ولم أكرّرها قط. لكنني رحت أتساءل لماذا بدأت الآن، بعد أن بلغت السابعة والسبعين من العمر، ولم أعد قادراً حتى على إقامة مثل هذه العلاقات، أشعر بالانجذاب، لا إلى الفتيات الجميلات اللاتي يرتدين سراويل، بل إلى الشباب الوسيمين الذين يرتدون ثياباً نسائية؟ هل أُنعشت ذاكرتي عن واكاياما تشيدوري ثانية؟ لا أظن ذلك. لا، يبدو أن لهذا الأمر علاقة بالحياة الجنسية لرجل عجوز عنين - فحتى لو كنت عنيناً، فإن لديك شيئاً من الحياة الجنسية. . .

لقد تعبت يدي من الكتابة اليوم، لذلك فإني سأتوقّف هنا.

## ١٧ حزيران (يونيو)

دعوني أضيف المزيد إلى ما حدث البارحة. فعلى الرغم من أن المطر كان قد هطل في الليلة الماضية - فقد بدأ موسم الأمطار - كان الجو شديد الحرارة. بالطبع كان المسرح مكيّفاً، لكن هذا النوع من التكييف لا يلائمني، لأنه يجعل أعصاب يدي اليسرى تؤلمني كثيراً، كما يزداد إحساسي بالخدر في جلدي سوءاً. وأشعر دائماً بألم يبدأ ينتشر من رسغي الأيسر ويمتد حتى أطراف أصابعي، وقد وصل الألم ليلة البارحة إلى مفصل المرفق، وفي بعض الأحيان فهو ينتشر إلى أماكن أخرى، حتى يصل إلى كتفي.

«هيه، ألم أقل لك ذلك؟» قالت زوجتي، «لكنك لا تنصت إليّ. ألا تزال ترى أن هذا التمثيل جدير بقدومنا إلى هنا؟ لمشاهدة تمثيلية لا يمكن أن ترقى إلى الدرجة الأولى؟»

«ليست سيئة إلى هذه الدرجة. إن مجرد رؤية أغيماكي تساعدني على نسيان الألم».

لم يزدني لومها إلا المزيد من العناد، لكن الألم في ذراعي كان يزداد من البرد. كنت أرتدي ثياباً تحتية حريرية، وكيمونو رقيقاً ليس له بطانة، من الصوف المخرّم، وفوقه عباءة أرقّ من الحرير الطبيعي، وفي يدي اليسرى كنت أرتدي قفازاً صوفياً رمادياً، وأحمل منديلاً.

فقالت ساتسوكو: «أفهم ما يقصده أبي. إن تسوشو رائع».

«عزيزتي»، قال جوكيشي، لكنه سرعان ما غيّر نبرته، «ـ ساتسوكو، هل يعجبك تمثيله أيضاً؟»

«لا أعرف شيئاً عن تمثيله، لكنه جميل وأحبّ أن أنظر إليه.

أبتي، ما رأيك بأن تأتي إلى الحفلة النهارية غداً؟ فهم سيعرضون مشهد صالة الشاي «انتحار العشاق» في أميجيما - سيكون رائعاً فيه! ألا تريد أن تأتي غداً؟ فكلما طال انتظارك، اشتدت الحرارة».

في الحقيقة، اشتد الألم في ذراعي إلى حد أنني فكّرت في عدم حضور الحفلة النهارية، لكن إزعاج زوجتي ونكدها جعلاني أرغب في أن آتي مرة أخرى لمناكدتها فقط. وبسرعة مدهشة، أدركت ساتسوكو شعوري. والسبب الذي جعلها لا تتفق مع زوجتي هو أنها كانت تتجاهلها في حالات كهذه، وتحاول كسب ودّي والتزلّف إليّ. أخال أنها تحبّ تسوشو، لكن ربما كانت تبدي اهتماماً أكبر بدانكو الذي سيؤدي دور البطل.

بدأ مشهد صالة الشاي في عرض بعد ظهر اليوم عند الساعة الثانية وانتهى حوالى الساعة الثالثة والثلث. كان اليوم أشدّ حرارة من البارحة، وكانت الشمس قائظة. كنت قلقاً من الحرارة أيضاً، لكن قلقي كان أشدّ من تأثير التكييف الشديد البرودة على ذراعي. فقد كان أسوأ تبريد صادفته في حياتي. وقد أراد سائق سيارتنا الانطلاق في وقت مبكر، وقال: «لم نواجه أيّ مشكلة ليلة البارحة، لكن لا بد أن مظاهرة في مكان ما ستعترض طريقنا في هذا الوقت من اليوم، حول مبنى البرلمان، أو بالقرب من السفارة الأمريكية». علينا أن نغادر في الساعة الواحدة. ولم يكن يوجد غيرنا نحن الثلاثة، لأن جوكيشي لم يأت.

لحسن الحظ لم نتأخر كثيراً عندما وصلنا. كان العرض التمهيدي لا يزال جارياً. توجهنا إلى المطعم ريثما ينهي عمله. طلبت ساتسوكو وزوجتي بوظة، فطلبت قليلاً منها أنا أيضاً، لكن

زوجتي منعتني. كان يشارك في مشهد «صالة الشاي» تسوشو الذي كان يؤدي دور كوهارو، ودانكو الذي كان يؤدي دور جيهي، وإنوسوك الذي كان يؤدي دور ماغويمون. أذكر أنني كنت قد شاهدته قبل سنوات على مسرح شينتومي، حيث يقوم والد إنوسوك بدور ماغويمون، وبيكو السابق بدور كوهارو. كان جيهي دانكو قد استخدم كل طاقاته وإمكانياته لأداء هذا الدور، لكنّه في غاية التوتر إلى درجة أنه أصبح عصبياً. بالطبع كان ذلك متوقعاً من شاب يؤدي هذا الدور الرئيسي. ولا يمكنك إلا أن تأمل بأن تحقق جهوده نتائج جيدة في نهاية الأمر. لكن يخيّل إليّ أنه كان عليه أن يختار دوراً من مسرحيات إدو، بدلاً من أداء دور إحدى الشخصيات في أوساكا. كان تسوشو جميلاً اليوم أيضاً، مع أني أظن أنه كان أفضل بكثير في أدائه دور أغيماكي. لم نبق لمشاهدة الفصل الثالث من المسرحية.

«ما دمنا قطعنا كلّ هذه المسافة، فلنذهب إلى أحد المخازن الكبيرة»، قلت، متوقّعاً أن تعارض زوجتي، وقد فعلت ذلك.

فقد قالت: «ألا تظن أنك نلت ما يكفي من هواء التكييف؟ فالحرارة شديدة ويجب أن تعود إلى البيت مباشرة».

«أترين هذه؟» وأريتها طرف العكاز، «لقد انفصلت منها الحلقة المعدنية. إنها لا تدوم طويلاً. سنتين أو ثلاث سنوات كحد أقصى. لعلي أجد عكازاً جيداً في إيستيان».

في الحقيقة، كان يدور في خلدي شيء آخر، لكنني لا أذكره. ثم قلت: «نومرا، هل تظن أننا نستطيع تفادي المظاهرات في طريق عودتنا؟»

«أظن ذلك يا سيدي». وكما قال سائقنا، فقد خرجت مجموعة

من اتحاد الطلاب اليوم: يبدو أنهم خطّطوا للتجمع في حديقة هيبيا في الساعة الثانية، والسير باتجاه مبنى البرلمان ومديرية المتروبوليتان للشرطة. وأننا سنكون على ما يرام إذا ابتعدنا عن ذلك الجزء من المدينة.

الأشياء المخصصة للرجال موجودة في الطابق الثالث. لم يعجبني أي عكاز. اقترحت أن نتوقف في الطابق الثاني لرؤية الألبسة النسائية الخاصة المعروضة. كانت التنزيلات الصيفية على أشدّها، وكان المخزن يعجّ بالناس. كانوا يعرضون جميع أنواع الثياب الصيفية «الموضة الإيطالية» لكبار مصممي الأزياء المشهورين. ولم تكفّ ساتسوكو عن القول «ما أروعها»، ولم تكن ترغب في مغادرة المكان. اشتريت لها وشاحاً حريرياً من ماركة كاردان بمبلغ ثلاثة ألف ينّ.

«إني أتلهف للحصول على واحدة كهذه، لكنه غالي الثمن»، قالت وهي تشهق بإعجاب شديد لشراء حقيبة يدوية مستوردة مصنوعة من الجلد المدبوغ، لونها بيج، ولها إطار مرصّع بياقوت زائف. كان ثمنها يقارب العشرين ألف ينّ.

«اطلبي من جوشيكي أن يشتريها لك. بإمكانه شراء حقيبة كهذه».

«لا فائدة منه. فهو بخيل جداً».

في الساعة الخامسة، اقترحت الذهاب إلى جينزا لتناول العشاء.

«أين في جينزا؟» سألت زوجتي.

«لنذهب إلى هاماساكو. إني أتوق إلى تناول سمك الأنقليس».

طلبت من ساتسوكو أن تتصل بالهاتف لتحجز لنا طاولة. وطلبت منها أن تتصل بجوكيشي أيضاً، وأن تطلب منه أن يقابلنا هناك في الساعة السادسة، إذا كان بوسعه أن يأتي. قال نومرا إن المتظاهرين سيبلغون جينزا قرابة العاشرة قبل أن يتفرقوا، وإننا إذا اتّجهنا يميناً، فقد نصل إلى البيت في الساعة الثامنة، ونتجنب أيّ مشكلة. كان كلّ ما علينا فعله هو أن نتوجه إلى وسط المدينة وذلك بالالتفاف حول الطرف الآخر من القصر، وسيكون كل شيء على ما يرام...

## ١٨ حزيران (يونيو)

(تابع من البارحة)

وصلنا إلى هاماساكو في الساعة السادسة. كان جوكيشي قد وصل للتو. جلستُ وجلستْ زوجتي إلى جانبي، ثمّ ساتسوكو وجوكيشي، بالترتيب. وفي حين احتسيت أنا وزوجتي الشاي الأخضر، احتسى الشابان بيرة. وتناولنا فاصولياء مبرّدة كمقبلات، لكنهما تناولا شيئاً آخر يلائم المشروبات التي كانا يتناولانها. طلبت سلطة السمك أيضاً. بالنسبة لوجبة ساشيمي، طلبت زوجتي وجوكيشي شرائح رقيقة من السمك، وطلبتُ أنا وساتسوكو سمك الأنقليس مع صلصة الأجاص. كنت الوحيد الذي طلب سمك الأنقليس المشوي، وفضّل ثلاثتهم تناول السمك الحلو المشوي، وتناولنا جميعاً حساء الفطر والباذنجان المقلي.

قلت: «أظن أنني أريد شيئاً آخر».

«هل أنت جاد فيما تقول؟» سألت زوجتي بارتياب، «ألم تتناول قدراً كافياً من الطعام؟»

«لا لأنني جائع، بل لأنني عندما آتي إلى هنا أشتهي طعام كيوتو».

«أرى أن لديهم غوجي»، قال جوكيشي.

«أبتي، هل تريد أن تتناول هذه؟» لم تكد ساتسوكو قد لمست طبق هامو. فلم تأكل منه سوى شريحة أو شريحتين، وكانت تنوي تقديم ما تبقى في الطبق لي. ولكي أكون صادقاً، ربما ذهبت إلى هناك ليلة البارحة بأمل - أم كان ذلك هدفي؟ أن أتناول ما تبقى من طبقها.

«لا بأس، لكنني التهمت طبقي بسرعة فجاء النادل وأخذ طبق صلصة الأجاص».

«لا يزال لديّ القليل منها أيضاً»، وناولتني ساتسوكو صحن الصلصة وصحن الأنقليس، وسألتني، «أم هل تريد أن أطلب لك طبقاً آخر؟»

«لا تكترثي لذلك. هذا يكفيني».

بالرغم من أنها لم تبد اهتماماً كبيراً بطبق «هامو» الذي كانت تتناوله، لطّخت ساتسوكو صلصة الأجاص بطريقة فوضوية - بطريقة لا تليق بسيدة تتناول طعامها. لعلها تعمدت عمل ذلك.

«ها هي قطعة السمك الحلو التي تحبها»، قالت زوجتي، التي لديها موهبة خاصة في انتزاع الحسك من السمكة بمهارة، وتضعه جانباً بالإضافة إلى الرأس والذيل، وتتناول لحم السمكة كلها، وتترك

صحنها نظيفاً وكأن قطّة قد لعقته، واعتادت على أن تترك الأحشاء لي.

«يمكنك أن تتناول ما تبقى في طبقي أيضاً»، قالت ساتسوكو، وأضافت، «لكني لا أجيد تناول السمك، لذلك فإن طبقي ليس نظيفاً مثل طبق ماما».

لم يكن ما قالته صحيحاً تماماً، فقد كانت السمكة المتبقية في طبقها ملخبطة أكثر بكثير من لخبطة صلصة الأجاص. بدا لي أنه ربما كان لهذا معنى أيضاً.

أثناء الحديث الدائر بيننا، قال جوكيشي إنه سيذهب إلى هوكيدو في مهمة عمل بعد بضعة أيام، وقال إنه يتوقع أن يمكث هناك حوالى أسبوع، وقال لساتسوكو إنها تستطيع أن تلحق به إذا شاءت. وبعد قليل من التفكير في هذا الأمر، قالت ساتسوكو إنها ترغب دائماً في مشاهدة هوكيدو في الصيف لكنها لن تذهب هذه المرة - فقد وعدت هاروهيسا بحضور مباراة الملاكمة في العشرين من الشهر. فقال جوكيشي «حسناً؟» وترك الأمر عند هذه النقطة. عدنا إلى البيت حوالى الساعة السابعة والنصف.

في هذا الصباح، بعد أن غادر كيسوكي إلى مدرسته، وتوجّه جوكيشي إلى مكتبه، خرجت إلى الغرفة الصغيرة في الحديقة. كانت الغرفة الصغيرة تبعد حوالى مئة ياردة، لكن ساقيَّ بدأتا تهنان مؤخراً، ويوماً بعد يوم، أصبح المشي يزداد صعوبة. كانت لرطوبة الفصل الماطر علاقة بذلك، مع أنني لم أعانِ كثيراً من هذه المشكلة في السنة الماضية. ومع أن ساقيَّ لا تؤلمانني ولا تتأثرا بالبرودة مثل

ذراعيّ، فإني أشعر بأنهما ثقيلتان على نحو غريب، وبدأت إحداهما تتداخل في طريق الأخرى. وفي بعض الأحيان، كان الثقل يتركّز عند عظمة رأس الركبة، وفي أحيان أخرى، عند مشط القدم، أو في باطن القدمين. إنه يتغيّر بين يوم وآخر، ولدى الأطباء آراء مختلفة في هذا الأمر أيضاً. فقد أخبرني أحد الأطباء أنه لا تزال توجد آثار خفيفة من الجلطة التي أصبت بها قبل بضع سنوات، وأنها أحدثت تغيراً طفيفاً في الدماغ مما أثّر على ساقيّ. وعندما أجريت فحصاً بالأشعة، قال لي بعض الأطباء إنه يوجد انزياح في بعض الفقرات القطنية والعنقية، ونصحوني بأن أستلقي على سرير مائل، وأن أدلّي رقبتي، وأن أضع طوقاً مؤقتاً من الجص حول رقبتي. لم أتحمّل الألم المتشنّج الذي ألمّ بي، لكني أحاول تحمّل الألم في ساقيّ. ومع أنني أصبحت أجد صعوبة في المشي، يتعين عليّ أن أسير مسافة قليلة يومياً على الأقل. وحذّرني الأطباء من أنني إذا لم أفعل ذلك، فلن أتمكن من استخدام ساقيّ تماماً. ولكي لا أسقط على الأرض عندما أمشي فإنني أستعين بعكاز من الخيزران، لكن كانت ساتسوكو أو الممرضة ترافقني عادة. وفي هذا الصباح، كان دور ساتسوكو.

«ساتسوكو، هنا». عندما كنت مسترخياً في الغرفة الصغيرة، أخرجتُ رزمة نقود ملفوفة بإحكام من كمّ ثوب الكيمونو الذي أرتديه، ودسستها في يدها.

«ما هذه؟»

«خمسة وعشرون ألف ينّ. تستطيعين أن تشتري حقيبة اليد التي رأيتها البارحة».

«إنك في غاية اللطف»، ودسّت النقود بسرعة داخل بلوزتها.

«لكن ربما شكّت زوجتي في أنني اشتريتها لك إذا رأتك تحملينها».

«لم ترها ماما عندما كنّا في المحل. كانت تسير أمامنا آنذاك».

عندما فكّرت في الأمر، تبيّن لي أن ساتسوكو محقّة تماماً...

## ١٩ حزيران (يونيو)

مع أن اليوم هو يوم أحد، فقد غادر جوكيشي في رحلة عمل من مطار هانيدا هذا الصباح. وسرعان ما غادرت ساتسوكو البيت بعده مباشرة، بسيارة هيلمان، التي أصبحت سيارتها الخاصة - وبالطريقة التي تقود فيها السيارة، فإننا نخاف أن نركب معها. لم تكن وجهتها المطار، بل إلى دار السينما الكائنة في وسط المدينة لمشاهدة ألان ديلون، ربما مع هاروهيسا مرة أخرى. نظفت كيسوك البيت وحدها، التي بدا أنها تنتظر كوغاكو وأطفالها القادمين من تسوجيدو بفارغ الصبر.

زارني الدكتور سوغيتا بعد الساعة الواحدة ظهراً بقليل. شعرت بألم شديد، فخابرته الآنسة ساساكي. وحسب تشخيص الدكتور كاجيورا في مستشفى جامعة طوكيو، فقد شفي دماغي من الضرر الذي لحق به تماماً - وتدل الآلام التي أعاني منها الآن على بدء الإصابة بالروماتيزم، أو على وجود حالة عصبية. وبناء على نصيحة الدكتور سوغيتا، توجهت إلى مستشفى تورانومون في ذلك اليوم لأفحص عظامي بالأشعة السينية. وقالوا إنني ربما كنت مصاباً بالسرطان، لأن الألم في ذراعي كان فظيعاً، ولأن المنطقة المحيطة

بالفقرات العنقية ليست واضحة. ثم أخذوا صورة أشعة سطحية لرقبتي. ولحسن الحظ، تبين أنني لست مصاباً بالسرطان، لكنهم قالوا لي إن فقرتَي العنق السادسة والسابعة مشوهتان، وكذلك الفقرات القطنية، لكن ليس كثيراً. ولمّا كان هذا سبب الألم والإحساس بالخدر في ذراعي، فقد كانت طريقة المعالجة تكمن في إعداد لوحة ناعمة زلقة، توضع تحتها عجلات منزلقة، وتتم إمالتها حوالى ثلاثين درجة. في البدء، كان عليّ أن أستلقي عليها حوالى خمس عشرة دقيقة في الصباح ومثلها في المساء، وأضع رقبتي في «حمالة غليسسون للرقبة» (حمالة للرقبة يصنعها حسب الطلب اختصاصي في صناعة المعدات الطبية) حتى تتمدد رقبتي بواسطة وزن جسمي. وإذا تابعت هذا التمرين على مدى شهرين أو ثلاثة أشهر، وأطلت الفترة، وزدت عدد المرات شيئاً فشيئاً، فلا بد أنني أشعر بالتحسّن.

وفي ظل كلّ هذه الحرارة لم أكن أرغب في إجراء هذه التمارين، لكن الدكتور سوغيتا حثّني على عمل ذلك، لعدم وجود علاج أفضل. لم أعرف إن كنت سأفعل ذلك أم لا، لكنني قرّرت أن أدعو نجاراً واختصاصياً في صناعة المعدات الطبية ليصنع لي الجهاز.

وصلت كوغاكو نحو الساعة الثانية، برفقة طفليها الصغيرين، بينما كان طفلها الآخر يلعب البيسبول، أو أنه كان في مكان ما. توجهت أكيكو وناتسوجي مباشرة إلى غرفة كيسوك. ويبدو أنهم كانوا يزمعون زيارة حديقة الحيوانات. مدّت كوغاكو رأسها لتحييني، بينما كانت منهمكة في التحدث مع زوجتي في غرفة الجلوس، كعادتها.

لا يوجد لديّ اليوم شيء أكتبه، لذلك سأحاول أن أدوّن عدداً من الأفكار التي تجول في خاطري.

لعل الجميع يصبحون هكذا في شيخوختهم، لكن في الآونة الأخيرة، لا يكاد يمضي يوم إلا وأفكّر فيه بموتي، مع أنه لم يكد يطرأ أيّ شيء جديد على حالتي. وكان ينتابني هذا التفكير منذ فترة طويلة، حتى عندما كنت في العشرينيات من عمري، لكن الأمر ازداد الآن. وكنت أردد لنفسي مرتين أو ثلاث مرات في اليوم: ربما متّ اليوم، وهذا لا يعني بالضرورة أنني أخاف من هذه الأفكار. فعندما كنت شاباً، كانت هذه الفكرة تثير فزعي، أما الآن فقد أصبحت تمنحني سعادة أكيدة. وأطلقت العنان لخيالي لتصوير مشهد لحظاتي الأخيرة، وماذا سيعقب موتي. فبدلاً من أن يقيموا الصلاة عليّ في قاعة المآتم في مقبرة أوياما، أريد أن يضعوا تابوتي في الغرفة التي تقع قبالة حديقتنا. لأن ذلك سيسهّل الأمر على الأشخاص الذين سيأتون لحرق جثماني: إذ يمكنهم التوجه من البوابة الرئيسية إلى البوابة الداخلية، والهبوط على الدرجات الحجرية. ولا تهمني تلك الموسيقى من نوع الشنتو بالمزمار والناي، لكني سأطلب من أحدهم مثل تومياما سيكين أن ينشد أنشودة «القمر عند الفجر». إني أكاد أسمع صوته الآن:

تحجبه أشجار الصنوبر الممتدة على الشاطئ قليلاً،
القمر يغوص نحو البحر -
هل أفقت من عالم الأحلام هذا
لتقيم في ألق الجنة الصافي؟

يفترض أنني ميت، لكن يخيّل إليّ أنني أسمعه في جميع الأحوال، وأسمع صوت زوجتي أيضاً وهي تبكي. حتى أصوات

إتسوكو وكوغاكو وهما تنشجان، مع أنني لم أتمكن من التوافق معهما. من المؤكد أنها ستكون هادئة - أو لعلها ستفاجئ الجميع بالبكاء، أو على الأقل قد تتظاهر بأنها تبكي. أتساءل كيف سيبدو شكل وجهي وأنا ميت. أريد أن يكون ممتلئاً كما هو الآن، حتى لا يكون منفراً...

عندما وصلت إلى مكاني، دخلت زوجتي برفقة كوغاكو وقالت إن كوغاكو تريد أن أسدي لها معروفاً.

وهذا هو «المعروف». تقول كوغاكو إن ابنهما الأكبر تسوتومو أحبّ فتاة ويرغب في الزواج بها، لكنه لا يزال صغيراً على ذلك، فهو لا يزال في السنة الثانية في الجامعة، لكنهم قرّروا أن يتركوه يمضي في هذا الأمر؛ لكنهم لا يزالون غير مرتاحين لترك الشابّ والشابّة يعيشان وحدهما والانتقال إلى شقّة تخصهما، وهم يرغبون في أن يعيشا في البيت معهم حتى يتخرج تسوتومو ويجد عملاً، لكن بيتهم الحالي في تسوجيدو ليس كبيراً، بل إنه صغير وليس مريحاً لكوغاكو وزوجها وأطفالهما الثلاثة. وإذا أحضر تسوتومو زوجة، فإنهما سينجبان طفلاً، إن آجلاً أم عاجلاً. وفي ظل الظروف الحالية، فإنهم يريدون الانتقال إلى بيت أكبر وعصري أكثر - في تسوجيدو بالتحديد - على مسافة خمسة أو ستة شوارع، وقد وجدوا البيت الذي يبحثون عنه معروضاً في السوق، ويحاولون جمع المال لشرائه، ولا يزالون بحاجة إلى مليوني أو ثلاثة ملايين ينّ أخرى، ويمكنهم الحصول على مليون ينّ آخر بطريقة ما، لكنهم لم يتمكّنوا حتى الآن من جمع مبلغ أكبر. وبالطبع فإنها لن تطلب من أبيها هذا المبلغ، بل ينوون استدانته من أحد المصارف، لكنها تتساءل إن كان

بوسعي مساعدتهم وإقراضهم العشرين ألف ينّ التي يحتاجون إليها لتسديد سلفة الفائدة. وقالت إنهم سيسددون لي المبلغ قبل نهاية السنة القادمة.

سألتها، «ألا توجد لديكم بعض الأسهم؟ ألا يمكنكم بيعها؟»

«إذا بعنا أسهمنا فإننا سنفلس».

فتدخلت زوجتي وقالت: «بالطبع، يجب عدم المساس بهذه النقود».

«نعم، نريد أن نحتفظ بها للحالات الطارئة».

«عم تتحدّثين؟ لا يزال زوجك في الأربعين من عمره. كيف تخجلين وقد بلغت هذا العمر؟»

«لم تطلب منك كوغاكو شيئاً منذ يوم زواجها»، قالت زوجتي، «وهذه هي أول مرة تطلب فيها منك شيئاً؛ ألا تظن أنك يجب أن تمنحها إياه؟»

«تقول عشرين ألف ينّ، لكن ماذا يفعلان إذا لم يتمكنا من تسديد القسط التالي؟»

«دعنا لا نفكر في ذلك حتى يأتي ذلك الوقت».

«في هذه الحالة لن تكون هناك نهاية لهذا الأمر».

«لا شك أن زوج كوغاكو لن يسبّب لك أيّ مشكلة. إنه يقول فقط إنه يريد . . . مساعدة صغيرة الآن حتى لا يضيع البيت منهم».

«ألا تظنين أنك تستطيعين أن تقدمي لهما مبلغ الفائدة؟» سألتُ زوجتي.

«كيف يمكن أن يخطر ببالك أن تطلب مني شيئاً كهذا! ألم تشترِ لساتسوكو سيارة هيلمان!»

أزعجني ذلك، وقرّرت أن أرفض.

ثمّ أحسست بأنني أصبحت في حال أفضل.

قلت: «حسناً، أتركاني أفكر في الأمر».

«ألا يمكنك أن تعطيهما رداً اليوم؟» قالت زوجتي بإصرار.

«لديّ نفقات كثيرة الآن».

دمدمتا شيئاً بينهما، ثم غادرتا الغرفة.

لم يكن الوقت مناسباً لقطع سلسلة أفكاري! حسناً، أظن أنّني سأواصل التمعن في أفكاري قليلاً.

حتى أصبحت في الخمسينيات من عمري، لم يكن ثمة شيء يخيفني أكثر من هواجس الموت، لكن ذلك توقف الآن. لعلي تعبت من الحياة - لم يعد يهمني إن متُّ أم لم أمت، فقد أصبح الأمر سيّان بالنسبة لي. ففي ذلك اليوم، عندما قالوا لي إنه من الممكن أن أكون مصاباً بالسرطان في مستشفى تورانومون، شحب وجه زوجتي ووجه الآنسة ساساكي، أما أنا فقد لبثت هادئاً. كان من المفاجئ أن ألبث هادئاً في مثل هذه اللحظة. شعرت بالارتياح عندما خطر في بالي أن حياتي الطويلة قد شارفت على نهايتها أخيراً. لذلك لم تعد لديّ أدنى رغبة في التشبث بالحياة، لكني ما دمت حيّاً لا يسعني إلا أن أنجذب إلى الجنس الآخر، وإني واثق من أنني سأبقى هكذا حتى اللحظة التي ألفظ فيها أنفاسي الأخيرة. كما أنني لا أملك قوة رجل مثل كوهارا فوسانوسكي الذي تمكن من إنجاب طفل وهو في التسعين من العمر، لأنني أضحيت عنيناً تماماً الآن. ومع ذلك يمكنني أن أتمتّع بالإثارة الجنسية بجميع السبل غير المباشرة المنحرفة. وإني أعيش الآن من أجل هذه المتعة، ومن أجل متعة تناول الطعام. ويبدو أنه

توجد لدى ساتسوكو وحدها فكرة غامضة عمّا يدور في رأسي، بل إنها المرأة الوحيدة في البيت التي توجد لديها أدنى فكرة عن ذلك. إذ يبدو أنها تجري تجارب صغيرة، بمهارة وبشكل غير مباشر، لترى مدى استجابتي.

أعرف تماماً أنني رجل عجوز قبيح تكسو وجهي التجاعيد.

عندما أنظر في المرآة قبل أن آوي إلى الفراش وبعد أن أنزع طقم أسناني، يصبح الوجه الذي أراه في غاية الغرابة، فلم تعد في فكيّ ولا حتى سنّ واحدة، حتى أنه لم تعد تكد توجد لثة في فمي. وإذا أطبقت فمي، أصبحت شفتاي مستويتين معاً، ويتدلى أنفي إلى ذقني. أدهش عندما أفكر أن هذا هو وجهي. حتى القرود لا تملك مثل هذه الوجوه القبيحة. وكيف يمكن لشخص له وجه كهذا أن يأمل في أن يغوي امرأة؟ لكن مع ذلك، فإن لهذا الأمر ميّزة وهي أنه لا يجعل النساء يحترسن منك، ويقتنعن بأنك رجل عجوز يعرف أنه لن يحظى بأي عطف منهن. لكن مع أنه لا يحقّ لي أن أستغل هذه الميّزة التي أتمتع بها، وأنني لست قادراً على ذلك، فإني أستطيع أن أتقرب من الحسناوات من دون إثارة أيّ شكوك لديهن. وللتعويض عن عدم قدرتي، يمكنني أن أجعلها تنهمك في حديث مع شاب وسيم، وأجعل البيت كله يغوص في حالة من الاضطراب، وأستمتع بذلك.

## ٢٠ حزيران (يونيو)

يبدو أن جوكيشي لم يعد يحبّ ساتسوكو كثيراً. فلعل حبّه قد بدأ يخبو منذ أن ولدت كيسوكي. كما أنه يسافر كثيراً في رحلات

عمل؛ وعندما يذهب إلى طوكيو، فإنه يمضي معظم أمسياته في مآدب وحفلات، ولا يعود إلى البيت إلا في ساعة متأخرة من الليل. لعله وجد امرأة جديدة، مع أني لست متأكّداً من ذلك، إذ يبدو أنه بدأ يهتم مؤخراً بالعمل أكثر من النساء. ومنذ فترة، كان يبدي حباً كبيراً لساتسوكو، وأخال أنه ورث تقلّب مزاجه مني.

كانت زوجتي قد عارضت زواجهما، أما أنا فلم أعترض لأنني أؤمن بأن يفعل المرء ما يحلو له. وكان سبب معارضة زوجتي هو أن ساتسوكو كانت تعمل في جوقة الغناء في قاعة نيتشيجيكي الموسيقية. وقد عملت في الجوقة لمدة نصف سنة فقط - وماذا فعلت بعد ذلك؟ لديّ انطباع بأنها كانت تعمل في ناد ليلي في مكان ما، ربما في إقليم أساكوسا.

«هل ترقصين على أطراف أصابع قدميك؟» سألتها ذات يوم.

فقالت: «لم أعد أرقص هذا النوع من الرقص»، وأضافت، «مع أني درست ذلك لمدة سنة أو سنتين، لأنني كنت أرغب في أن أصبح راقصة بالية. لا أظن أني لا أزال أستطيع أن أرقص الآن».

«لماذا توقفت عن هذا النوع من الرقص بما أنك درسته لمدة طويلة؟»

«لأنه أفسد قدميّ، فقد أصبح شكلهما سيئاً».

«ألهذا السبب أقلعتِ عنه؟»

«لا أريد أن تصبح قدماي بهذا الشكل».

«بأيّ شكل؟»

«أوه، إنه شيء فظيع! فقد تورمت أصابع قدميّ وأصبح جلدها سميكاً، وبدأت أظافر قدميَّ تقتلع».

«لكن قدميك جميلتان الآن».

«كانتا أجمل بكثير، فقد جعلهما الجلد السميك قبيحتين، وقد جرّبت كل شيء عندما توقّفت عن الرقص - حجر الخفاف، ألواح التنعيم، يوماً بعد يوم. لكنهما لم تعودا كما كانتا».

«حقاً؟ دعيني أراهما».

أسرعت لأنتهز هذه الفرصة بقدر الإمكان للمس قدميها العاريتين. مدّت ساقيها على امتدادهما على الأريكة، ونزعت جوربها النايلون لتريني إياهما. أسندت قدميها على حضني، وأمسكتُ بيدي أصابع قدمها، الواحد تلو الآخر.

قلت لها: «تبدو لي أنها ناعمة، لا أرى فيها أي شيء غير جيد».

«إنك لا تنظر جيداً! حاول أن تضغط هناك».

«هنا؟»

«أترى؟ لم أتخلص منها تماماً بعد. إن راقصة البالية تثير الشفقة إذا فكّرت في قدميها»

«أتقصدين أنه توجد لدى ييبشينسكايا أيضاً مشكلة في قدميها؟»

«طبعاً. فعندما كنت أتدرب، كان الدم يسيل أحياناً خارج حذاء البالية الذي كنت أنتعله. ولا يتوقف الأمر على القدمين فقط، إذ تفقد ربلتا الساقين نعومتهما وتصبحان كتلتين من العضلات مثل عضلات عامل. كما يجعل صدر الراقصة مسطحاً، فيختفي النهدان، وتصبح عضلات كتفيها قاسية وصلبة مثل عضلات كتفيْ رجل. وقد أصبحت الفتيات في الجوقة هكذا، لكن لحسن الحظ، لم أصبح أنا هكذا».

لا بدّ أن قوامها هو الذي جذب جوكيشي، لكن يبدو أنها امرأة ذكية أيضاً، مع أنها لم تكمل دراستها. فهي لا تريد أن يتفوق أحد عليها: فبعد مجيئها إلى بيتنا، راحت تدرس حتى بدأت ترطن بركاكة باللغتين الفرنسية والإنكليزية. وهي تحبّ قيادة السيارة، ومغرمة إلى حد الهوس بالملاكمة، ومن الناحية الأخرى، لها ذائقة جيدة في ترتيب الأزهار بالطريقة الكلاسيكية. وكان يأتي صهر أسرة إيزسوتي من كيوتو إلى طوكيو مرّتين في الأسبوع لتدريبها، وكان يجلب معه جميع أنواع الأزهار النادرة.

اليوم، رتّبتْ مجموعة من الأعشاب، ونبات ذيل السحلية، ونوعاً من البقدنوس في إناء مسطح في غرفتي. إن اللفيفة المعلّقة على الحائط قطعة فنية خططها ناغاو أوزان وقد كتب عليها:

عسيل الصفصاف تتطاير، ولم تعد صديقتي بعد.

كانت براعم الأجاص والطائر المغرّد وحيدة، ولا تزال أحلامي خاوية.

أنفقت عشرة آلاف قرش على نبيذ العاصمة.

أقف بجانب السور تحت مطر الربيع، وأنظر إلى نباتات الفاونيا.

## ٢٦ حزيران (يونيو)

يبدو أني تناولت قدراً كبيراً من خثارة الفاصولياء المجمّدة ليلة البارحة: فبعد منتصف الليل شعرت بألم في معدتي، واستيقظت

مرتين أو ثلاث مرات من الإسهال. تناولت ثلاثة أقراص إنترو فيوفورم لكني لم أشف تماماً. أمضيت معظم النهار في السرير.

## ٢٩ حزيران (يونيو)

بعد ظهر اليوم طلبت من ساتسوكو أن تأخذني في نزهة بالسيارة حول ضريح ميجي. خيّل إليّ أنني تمكنت من الهرب، لكن ممرضتي رأتنا ونحن نغادر وقالت إنها سترافقنا. لقد أفسدت كل شيء. عدنا إلى البيت بعد أقل من ساعة.

## ٢ تموز (يوليو)

خلال الأيام القليلة الماضية شعرت بأن ضغط دمي قد عاد للارتفاع. فقد وصل هذا الصباح إلى ١٨٠، وازداد النبض أيضاً. وبإصرار من الممرضة، تناولت قرصيْ سيرباسيل وثلاثة أقراص أدالين. كان الألم والبرودة في يدي شديدين أيضاً. وعلى الرغم من أن الألم نادراً ما يوقظني، فقد أيقظني ليلة البارحة وزرقتني الآنسة ساساكي بحقنة نوبولون. وجدت أن نوبولون يناسبني كثيراً، لكن له تأثيرات لاحقة مزعجة.

«ها هو الطوق والسرير المنزلق. هل تريد أن تستخدمهما؟»

لم أكن متحمساً كثيراً، لكن الألم دفعني لأجربهما.

## ٣ تموز (يوليو)

جرّبت اليوم الطوق على رقبتي. إنه طوق سميك مصنوع من الجص يبقي الذقن مرفوعة إلى الأعلى. إنه لا يؤلمني، لكنه لا يمكنني من تحريك رأسي أبداً - لا إلى اليمين، ولا إلى الأعلى، أو إلى الأسفل. كلّ ما يمكنني عمله هو أن أحدّق أمامي مباشرة.

قلت: «ألا تشبه آلة تعذيب جهنمية؟»

بما أن اليوم يوم أحد، فقد جاء جوكيشي وكيسوك أيضاً لمشاهدة العرض مع ساتسوكو وزوجتي.

«أبتي المسكين!» قالت ساتسوكو، «إنك تبدو بائساً».

«كم مرة تضع هذا الشيء؟» سأل جوكيشي.

«أتساءل كم يوماً سيستغرق ذلك»، أضافت زوجتي.

«ألا ينبغي لك أن تتخلى عنه يا أبتي؟ إنه شديد القسوة بالنسبة لعمرك».

كنت أسمع أصوات ثرثرتهم من حولي، لكني لم أكن أستطيع أن أدير رأسي لرؤية وجوههم.

أخيراً قرّرت أن أتوقف عن وضع الطوق حول رقبتي، وأن أجرّب السرير المنزلق وجهاز الشدّ - الذي يُطلق عليه اسم حمالة غليسون. خمس عشرة دقيقة صباحاً ومساء، كبداية. حيث تُعلّق ذقني على حمالة من القماش، وهي مريحة أكثر من الطوق بكثير، لكني لا أزال لا أستطيع تحريك رأسي، فأستلقي وأحدّق في السقف.

«بقي خمس عشرة دقيقة»، قالت الآنسة ساساكي، وهي تنظر إلى ساعة يدها.

«انتهت الجولة الأولى»، صاحت كيسوكي، وهرعت وهبطت إلى الردهة.

## ١٠ تموز (يوليو)

انقضى أسبوع على استخدامي آلة الشدّ. وكنت قد أطلت مدة الجلسات من خمس عشرة دقيقة إلى عشرين دقيقة، وجعلت السطح شديد الانحدار لتزداد قوة الشدّ على رقبتي. شعرت بألم في يديَّ. قالت الممرضة، إنني يجب أن أظل هكذا لبضعة أشهر أخرى قبل أن أرى أيّ تحسن. لا أظن أنني سأتمكّن من تحمّل ذلك طويلاً.

هذه الليلة، اجتمع جميع أفراد الأسرة لمناقشة الأمر معي. قالت ساتسوكو إن الشدّ لا يلائم رجلاً عجوزاً، وخاصة في هذا الطقس الحار، لذلك يجب أن أتوقف وأن وأجرّب علاجاً آخر. وقالت إنه يوجد لدى إحدى صديقاتها الأجنبيات دواء لمعالجة ألم الأعصاب يدعى دولوسين وهو متوفر حالياً في الصيدليات الأمريكية. وقالت إنه ليس علاجاً حقيقياً لألم الأعصاب، لكن تناول ثلاثة أو أربعة أقراص عدّة مرات في اليوم قد تقضي على الألم، وأن الدولوسين فعّال جداً، لذلك اشترت لي بضعة أقراص - ألا أريد أن أجربها؟

اقترحت زوجتي أن أُعالج بالوخز بالأبر على يد الدكتور سوزوكي من دينينيهوفو، فلعلي أتماثل للشفاء بهذا العلاج، وسألتني لماذا لا أتصل به؟ كلمته طويلاً على الهاتف؛ وقال الدكتور سوزوكي

إنه مشغول جداً، ويرجو أن أذهب لزيارته في منزله، أو أنه يمكنه زيارتنا ثلاث مرات في الأسبوع. وقال إنه لا يستطيع تقرير ذلك إلا بعد أن يفحصني، لكن من الحالة التي ذكرتها له، قال إنه يظن أنه يستطيع معالجة الحالة وتصويبها، وربما استغرق العلاج شهرين أو ثلاثة أشهر. علماً أن الدكتور سوزوكي كان قد ساعدني من قبل: عندما كنت أعاني من تسارع ضربات القلب، وقد بدا لي أن أحداً لم يتمكن من معالجته، ومرة أخرى عندما بدأت أشعر بالدوار. لذلك قرّرت أن أطلب منه أن يبدأ معالجتي في الأسبوع التالي.

لديّ بنية جسدية قوية، فلم أصب بمرض حقيقي منذ طفولتي وحتى أن أصبحت في الستينيات من عمري، سوى أنني أمضيت أسبوعاً في المستشفى وأجريت جراحة طفيفة في الشرج. وعندما بلغت الثانية أو الثالثة والستين من عمري، بدأت تنتابني أعراض أولية من ارتفاع ضغط الدم؛ وعندما بلغت السادسة أو السابعة والستين، أصبحت طريح الفراش لمدة شهر بعد حدوث نزيف خفيف في الدماغ. لكن بعد الاحتفال بعيد ميلادي الخامس والسبعين، بدأت تنتابني آلام طبيعية شديدة بدأت في يدي اليسرى ثمّ انتقلت إلى مرفقي، ومن مرفقي إلى كتفي، ومن قدميّ إلى ساقيّ. ثم اعترتني مشكلة في ساقيّ كلتيهما، ويوماً بعد يوم، بدأت أجد صعوبة في المشي. لا شكّ في أن الكثيرين يتساءلون ماذا بقي لي لأعيش من أجله، بالطريقة التي أعيشها - وفي بعض الأحيان - أتساءل أنا نفسي عن ذلك. لكن يجب أن أُعتبر محظوظاً، لأنه لا يوجد لديّ شيء أعترض عليه من حيث النوم والشهية للأكل وحركة الأمعاء. ومع أنه لم يعد يسمح لي بتناول المشروبات الكحولية أو المنشطات أو

الأطعمة المالحة، كانت شهيتي للطعام لا تزال ممتازة. وقال لي الطبيب إنه لا يوجد اعتراض على تناول حتى شريحة من لحم البقر أو سمك الأنقليس، ما دمت أتناولها باعتدال ومن دون إفراط، وأن أستمتع بما أتناوله. أما النوم، فلم أعد أنام كثيراً: فبالإضافة إلى قيلولتي، كنت أنام نحو تسع أو عشر ساعات يومياً، وتتحرك أمعائي مرتين في اليوم. ومع أنني أصبحت أتبول كثيراً، وأصحو مرتين أو ثلاث مرات في الليل، فلم يكن ينتابني أرق بعد ذلك. فما إن أستيقظ، وأتوجه إلى الحمّام، وما إن أعود إلى السرير، حتى أغطّ في النوم. وفي بعض الأحيان، كان الألم في يدي يوقظني، لكن ما إن أرقد والنعاس يداعب أجفاني مع إدراكي بأنها تؤلمني، حتى أعود وأغطّ في النوم. وعندما يلمّ بي وجع شديد، كنت أُزرق بحقنة نوبولون، فأعود للنوم في الحال. إن قدرتي هذه هي التي أبقتني على قيد الحياة، وبدونها يخيّل إليّ أنني كنت قد متّ منذ أمد بعيد.

يقول البعض: «إنك تشكو من الألم في يدك، ومن عدم قدرتك على السير، ومع ذلك فإنك تتمتّع بالحياة، أليس كذلك؟ فليس من المعقول أنك تعاني من هذا الألم هكذا».

لكني كذلك. بالطبع تمرّ أوقات يشتد فيها الألم، وتمرّ أوقات لا يوجد فيها ألم. إن الأمر لا يظل مستمراً كما هو، بل تمرّ أوقات لا ينتابني فيها أي ألم، الذي يبدو أنه يتفاوت حسب تغيّر الطقس وشدة الرطوبة، وما إلى ذلك.

من الغرابة أنه عندما يعتريني الألم تجتاحني رغبة جنسية، لاسيما عندما يكون الألم شديداً، أو يمكنني أن أقول إن معظم النساء اللاتي يسببن لي الألم هن اللاتي يجذبنني أو يفتنني؟

لعلك تطلق على ذلك ميول مازوشية. ولا أظن أن هذه الميول تنتابني دائماً - بل بدأت تنتابني في شيخوختي.

لنفترض أنه توجد امرأتان جميلتان على القدر نفسه من الجمال، ترضيان ذوقي في الجمال. «سين» لطيفة وصادقة ورقيقة، و«عين» ـظة وكاذبة وذكية. وإذا سألتني أيّ هاتين المرأتين تجذبني أكثر، فإنني واثق تمام الثقة بأنني أفضّل في هذه الأيام «عين». لكن ذلك لا يمكن أن يتم إلا إذا كانت عين بالقدر نفسه من جمال «سين». أما بالنسبة للجمال، فإن لديّ ذوقي، ولا بد أن تتمتع المرأة بوجه جميل وقوام رشيق. ويجب أن تكون لها ساقان ممشوقتان بيضاوان وقدمان رهيفتان. ولنفترض أن هذه الأمور وجميع الأمور الجمالية الأخرى كانت متساوية، فإني سأختار المرأة ذات الشخصية السيئة. ففي بعض الأحيان، توجد نسوة تظهر وجوههن نزعة من القسوة - وهن النساء اللاتي أفضلهن أكثر من غيرهن. فعندما أرى امرأة لها وجه كهذا، فإني أحسّ أن أعماق طبيعتها قد تكون قاسية، وفي واقع الحال فإني آمل أن تكون كذلك. هذا هو الإحساس الذي كان يمنحني إياه ساوامورا جينوسوكي وهو يؤدي أدوار كابوكي الأنثوية. ويمكنني تبيّن ذلك في وجه سيمون سينيوريت في مسرحية «الشياطين»، وفي وجه هونو كايوكو، الممثلة الشابة التي شاع الحديث عنها مؤخراً. لعلهم يمثّلون فقط، لكن إذا وجدت امرأة سيئة حقاً، وإذا تمكنت من العيش معها - أو على الأقل أن أعيش بوجودها، بشكل حميمي - فإني سأكون في غاية السعادة!

## ١٢ تموز (يوليو)

حتى المرأة ذات الشخصية السيئة، يجب ألاّ يكون خبثها ظاهراً، وكلما كانت أسوأ، يجب أن تكون أذكى. وهما شيئان يرتبط أحدهما بالآخر. وبطبيعة الحال، يجب أن تكون هناك حدود لهذا الأمر: إذ يصعب عليّ تقبل الميل إلى السرقة أو القتل، مع أنني لا أستطيع استبعاد هذين الأمرين تماماً. فقد تجذبني كثيراً امرأة أعرف أنها كانت سارقة متسللة - في الواقع، يساورني الشك في أن أتمكن من مقاومة الارتباط بها.

فعندما كنت طالباً في الجامعة، تعرّفت على طالب في كلية الحقوق يدعى یامادا أورو، عمل في ما بعد في مكتب بلدية أوساكا، وقد توفي منذ عدة سنوات. كان والده محامياً عجوزاً، دافع في بداية حكم عهد الميجي عن القاتلة الشهيرة تاكاهاشي أودين. وكان يبدو أنه حدّث ابنه كثيراً عن جمال أودين؛ ويبدو أنه كان يجلس معه ويحدّثه عنها مطولاً، كما لو كان شديد التأثر بها. إذ قال له: «يمكنك أن تدعوها فاتنة، أو ساحرة. ولم أعرف قط أن هذه المرأة الفاتنة مصّاصة دماء حقيقية. لكن عندما رأيتها قلت لنفسي لا يهمني إن متّ على يدي إمرأة مثلها».

ولمّا لم يكن لديّ سبب محدد لأعيش، فإني أفكّر أحياناً في أنني سأكون أكثر سعادة إذا ظهرت لي امرأة مثل أودين ثم قتلتني. فبدلاً من تحمّل ألم هاتين الذراعين وهاتين الساقين شبه الميتة، فلعلي أستطيع أن أتغلب عليه، وأرى في الوقت نفسه، كيف يشعر المرء إذا قُتل بوحشية.

هل حبّي لساتسوكو ينبعث من إحساسي بأنه توجد فيها بعض صفات أودين؟ فهي امرأة حقودة بعض الشيء، فيها شيء من التهكم، وقليل من الكذب. وهي لا تتوافق كثيراً مع حماتها أو مع بنات حماتها؛ وباردة تجاه طفلها. لكن عندما كانت عروساً شابة، لم يكن يبدو عليها هذا القدر من الخبث، لكن الاختلاف الذي طرأ عليها خلال السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة كان شديداً. ولعل ذلك يعزى إلى حدّ ما إلى تحريضي لها، فلم تكن هكذا دائماً. وحتى الآن، فإني أعتقد أنها امرأة طيبة القلب، لكنها بدأت تتبجح بأنها امرأة خبيثة. لا ريب في أن ذلك يعزى إلى أنها بدأت تدرك أن سلوكها هذا يدخل المتعة إلى نفسي. بطريقة ما، بدأت أتعاطف معها أكثر مما أتعاطف مع بناتي بكثير، وبدأت أفضّل أن تكون علاقتها بهن سيئة، وكانت كلما ازدادت حقداً وكراهية لهن، ازداد افتتاني بها. وقد بدأت أشعر بذلك مؤخّراً، لكن شعوري هذا بدأ يزداد حدّة وتطرفاً. هل يمكن أن يشوّه الألم الجسدي وعدم القدرة على التمتّع بملذات الجنس الطبيعية، نظرة الرجل إلى هذه الدرجة؟

أتذكّر شجاراً نشب هنا منذ بضعة أيام. فمع أن كيسوكي في السادسة من عمره، وفي سنته الأولى في المدرسة، لم ينجبا طفلاً آخر. وترتاب زوجتي بساتسوكو، وتقول لا بد أنها تفعل شيئاً اصطناعياً لتفادي الحمل. وفي سريرتي، أظن أن هذا الأمر صحيح، لكن على الرغم من ذلك، فإني أنكره دائماً أمام زوجتي. يبدو أنها شديدة القلق إلى حدّ أنها توسلت لجوكيشي أكثر من مرة، الذي لم يكن يفعل شيئاً سوى أن يضحك، ولم يكن يناقش معها هذا الأمر.

فيقول: «إنك مخطئة تماماً».

«إني واثقة من ذلك».

فيضحك ويقول لماذا لا تسألي ساتسوكو عن ذلك.

«ما المضحك في الأمر؟ إنه أمر جدّي وخطير! يجب ألا تكون شديد الرقة والنعومة مع ساتسوكو - إنها تسخر منك».

وأخيراً، وفي أحد الأيام، دعا جوكيشي ساتسوكو لتدافع عن نفسها أمام زوجتي؛ وبين الحين والآخر، كنت أسمع صوت ساتسوكو العالي النبرة. واستمر الشجار بينهما قرابة الساعة، ثم جاءت زوجتي أخيراً ورجتني أن أنضم إليهم في الغرفة الأخرى، لكني لم أفعل ذلك، لذلك لم أعرف ما حدث تماماً، لكني سمعت فيما بعد أن ساتسوكو غضبت من ملاحظات زوجتي الساخرة فردّت عليها بحدّة.

وكانت تردّ عليها قائلة: «لا أحبّ الأطفال كثيراً»، أو: «ما الفائدة من إنجاب أطفال كثيرين، مع كلّ هذا الغبار النووي المتساقط؟»

لكن زوجتي لم تكن تستسلم، فتقول غاضبة: «إنك لا تحدّثين جوكيشي باحترام عندما لا نكون قريبين منكما»، وتضيف، «وهو يدعوك ساتسو ويعاملك مثل زوج أصابه الخرف حتى أمام الآخرين. أراهن أنكِ أنتِ المسؤولة عن هذا أيضاً». وكان يبدو أنه لا توجد نهاية لجدالهما ومناقشتهما. وأصبحت ساتسوكو وزوجتي في شجار دائم إلى درجة أن جوكيشي لم يعد قادراً على معالجة الأمر.

«إن كنتِ تكرهينني إلى هذه الدرجة، فمن الأفضل أن نذهب ونعيش في مكان آخر! أليس كذلك يا جوكيشي؟»

هذه المرة لم تحر زوجتي جواباً. فقد كانت تعرف هي وساتسوكو بأنني لن أقبل ذلك.

«يستطيع أبي أن يتدبر أمره، وتستطيعين أن تعتني به أنتِ والآنسة ساساكي. ألا تظن ذلك يا جوكيشي؟ ألا ينبغي لنا أن نغادر؟» الآن، وبعد أن هُزمت زوجتي تماماً، ظلت ساتسوكو تؤنبها، وهكذا انتهى ذلك الشجار. وأسفت على عدم دخولي الغرفة لرؤية ذلك.

اليوم دخلت زوجتي إلى غرفتي ثانية. كانت تبدو في حالة اكتئاب شديد، لأن الشجار كان لا يزال يعتمل فيها، وقالت: «أتوقّع أن تتوقف الأمطار عن الهطول قريباً».

«لم تهطل أمطار كثيرة هذه السنة، أليس كذلك؟»

«لقد حان الوقت لتقديم الأضحيات لبون. بالمناسبة، ماذا ستفعل من أجل قبرك؟»

«لا حاجة للتسرع في هذا الأمر! كما قلت لك في ذلك اليوم، فأنا لا أريد أن يدفن جثماني في طوكيو، فمع أنني ولدت في هذه المدينة ونشأت فيها، فقد بدأ هذا الأمر يصبح مستحيلاً. فإذا دفنتُ هنا، فلا يعرف أحد متى سينقلونه إلى مكان آخر، لسبب أو لآخر. وأيّ مكان بعيد مثل مقبرة تاما، قد لا تكون في طوكيو على الإطلاق. لا أريد أن أُدفن في أماكن كهذه».

«أفهم ذلك، لكنك قلتَ لي إنك حزمت أمرك بشأن كيوتو، ويجب أن تتخذ قرارك في منتصف شهر آب (أغسطس)».

«لا يزال أمامنا شهر. يمكنني أن أطلب من جوكيشي أن يذهب إلى هناك بدلاً مني».

«هل ستكون راضياً لأنك لن ترى المكان بنفسك؟»

«بوضعي الصحي هذا، لا أظن أنني أستطيع الذهاب في هذا الجو الحار القائظ. أظن أنني سأؤجّل ذلك حتى الخريف».

قبل سنتين أو ثلاث سنوات، طلبت أنا وزوجتي من كاهن في نيتشيرين أن يمنحنا أسماءنا البوذية بعد الموت، لكنني أكره تلك الطائفة، وأريد أن أنتقل إلى طائفة «الأرض النقية» أو إلى طائفة تينداي. وسبب اعتراضي الرئيسي لأنه لا توجد تماثيل من الدمى الطينية للخالق، تعتمر قلنسوات من خيوط الحرير، يجب عبادتها في بيوت أضرحة طائفة نيتشيرين. وإذا كان الأمر بيدي، فإني أريد أن أُدفن في معبد مثل هونينين أو شينينيودو في كيوتو.

في تلك اللحظة دخلت ساتسوكو. كانت الساعة تقارب الخامسة، وبينما كانت تلقي التحية، وجدت نفسها فجأة وجهاً لوجه أمام زوجتي، وحيّت إحداهما الأخرى بانحناءات شديدة التأدب إلى درجة سخيفة، وسرعان ما خرجت زوجتي واختفت.

قلت لساتسوكو: «كنتِ خارج البيت طوال النهار. إلى أين ذهبت؟»

«كنت أتسوّق هنا وهناك، وتناولت طعام الغداء مع هاروهيسا في مطعم الفندق، ثم ذهبت إلى محل لبيع الألبسة لأجرّب بعض الثياب، ثم التقيت بهاروهيسا مرة أخرى، وشاهدت أوزبيوس الأسود. . .»

«لقد سفعت الشمس ذراعك اليمنى».

«لقد ذهبت إلى زوشي بالسيارة البارحة».

«مع هاروهيسا؟»

«نعم. لكنه لا يصلح لشيء. فقد قدتُ السيارة طوال الوقت».

«عندما تسفعك الشمس في جسمك في مكان واحد، فإن ذلك يزيد باقي أجزاء جسمك بياضاً».

«تقع عجلة القيادة على اليمين، لذلك يتم ذلك عندما تقود السيارة طوال النهار».

«يبدو أن وجهك متورّد قليلاً، كأن شيئاً قد أثارك».

«صحيح؟ لا أقول إنني مستثارة، لكن برينو ميلو كان رائعاً».

«عمن تتكلمين؟»

«أتكلم عن النجم الزنجي في فيلم «أورفيوس الأسود»! إنه فيلم يتحدث عن تلك الأسطورة اليونانية، الذي يؤدي فيه رجل زنجي دور البطولة، وتجري أحداثه في ريو دي جانيرو في أثناء كرنفال».

«هل تظنين أنه جيد؟»

«يقولون إن برينو ميلو هاو كان بطلاً في كرة قدم. ويقوم في الفيلم بدور سائق عربة ترام - بين الحين والآخر، يغمز لفتاة وهو يقود الترام. يا لها من غمزة».

«لا يبدو أنه من ذلك النوع من الأفلام التي تثير اهتمامي».

«أرجو أن تسدي لي معروفاً وتأتي لمشاهدة الفيلم».

«أتقصدين أنك ستذهبين لمشاهدته ثانية، معي؟»

«هل ستأتي إذاً؟»

«حسناً».

«سأذهب لمشاهدته عدة مرات، لأنه يذكّرني بـ«ليو إسبينوسا» - المعجبة به كثيراً».

«اسم غريب آخر».

«إن إسبينوسا ملاكم فلبيني شارك في بطولة العالم بوزن الذبابة.

إنه زنجي أيضاً، لكنه ليس وسيماً. على نحو ما فإن برينو ميلو يشبهك، وخاصة عندما يغمز بعينه. ولا يزال إسبينوسا يمارس الملاكمة، لكنه لم يعد لاعباً جيداً كما كان في الماضي. كان ملاكماً رائعاً! هذا ما أتذكره».

«حضرت مباراة ملاكمة واحدة فقط في حياتي».

في هذه الأثناء، دخلت زوجتي والآنسة ساساكي لتخبراني أنه حان الوقت لكي أصعد إلى سريري المنزلق، فتعمدت ساتسوكو الاستفاضة في الحديث عنه.

«إن إسبينوسا زنجي من جزيرة سيبو، يجيد توجيه اللكمات بيده اليسرى، وهو يوجه ضرباته بيده اليسرى بسرعة، ماداً ذراعه، ثم يسحبها بسرعة كبيرة. هسس، هسس - لا يمكنك أن تتخيّل السرعة التي يمدّ فيها ذراعه ثم يسحبها! ما أجمل لكماته عندما يسددها بسرعة كبيرة، ويظل يطلق صافرات حادة صغيرة وهو منهمك في هجماته. وفي حين يتنحى معظم الملاكمين جانباً إلى اليمين أو إلى اليسار لتحاشي لكمة الخصم، فإن إسبينوسا ينحني من الخصر. إن جسمه مرن على نحو يثير الدهشة».

«وهل أنت مغرمة بهاروهيسا لأنه داكن البشرة؟».

يكسو صدر هاروهيسا شعر كثيف، مع أن أجسام الزنوج لا يكسوها شعر كثيف. وعندما يتعرّقون تصبح بشرتهم زلقة وتلمع على نحو ساحر.

«أبتي، لا بد أن أصحبك لحضور مباراة ذات يوم».

«لا أظن أنه يوجد عدد كبير من الملاكمين الوسيمين. ولدى الكثيرين منهم أنوف مفلطحة».

«أيهما أفضل، الملاكمة أم المصارعة؟»

«تقدّم المصارعة عرضاً أفضل - ويسيل منهم الدم، لكنها لا تثيرني حقاً».

«لكن ألا يسيل الدم في مباريات الملاكمة؟»

«طبعاً! وفي بعض الأحيان، تسقط قطعة المطاط من فم الملاكم، ويمتلئ وجهه بالدم. لكن ذلك لا يحدث عمداً كما في المصارعة، ففي معظم الأحيان، لا ترى الدم يسيل إلا عندما يضرب المصارع وجه المصارع الآخر برأسه - وهو ما يطلقون عليه الضرب بالرأس، أو عندما يُجرح جفن أحد المصارعين».

«هل تذهبين حقاً لمشاهدة هذه المباريات؟» قاطعتُ الآنسة ساساكي. ووقفت زوجتي هناك وقد فغرت فاها، وبدا أنها على وشك الهروب.

«أنا لست الوحيدة، فالكثير من النساء يحضرنها».

«إن ذلك يجعلني أشعر بالدوار والإغماء».

«إن رؤية الدم تجعلك تشعر بالإثارة. هذا جزء من المتعة».

بدأ ألم مبرّح يلمّ بيدي اليسرى، لكن شعوراً بالمتعة اعتراني كذلك. وعندما نظرت إلى وجه ساتسوكو الماكر، ازداد الألم والمتعة - حدّة.

## ١٧ تموز (يوليو)

ليلة البارحة، بعد الانتهاء من الاحتفال بعيد بون بقليل بإطفاء النار عند البوابة، غادرت ساتسوكو البيت. قالت إنها ستستقل القطار

السريع المتأخر إلى كيوتو لحضور مهرجان جيون. وكان هاروهيسا قد ذهب إلى هناك البارحة لتصويره، مع أن الطقس كان شديد الحرارة مما يحول دون القيام بمثل هذا العمل؛ ومن المقرر أن يمكث فريق التلفزيون في فندق كيوتو، بينما ستمكث ساتسوكو في بيت زوجة أخيها في نانزينجي، وقالت: «سأعود يوم الأربعاء». وبما أنها قد لا تكون على وفاق مع إتسوكو، فإني أجرؤ على القول بأنها ستنام هناك فقط.

«متى ستصلين إلى كارويزاوا؟» أرادت زوجتي أن تعرف، «فعندما يصل الأطفال سيمتلئ البيت بالضجيج. يقولون إن الحرارة في طوكيو ستبلغ عشرين درجة».

«لا أعرف ماذا سأفعل هذه السنة - سأملّ لو مكثت كلّ المدة التي مكثتها في الصيف الماضي، وعندي موعد مع ساتسوكو في الخامس والعشرين لحضور مباراة الملاكمة على بطولة وزن الريشة في الشرق التي ستقام في ملعب كوراكوين».

«ألن تعترفي بعمرك الحقيقي؟ ستكونين محظوظة إن لم تصابي بأذى لارتياد مكان كهذا».

## ٢٣ تموز (يوليو)

أحب أن أكتب هذه اليوميات لأني أجد متعة كبيرة في كتابتها، وبالطبع فأنا لا أنوي أن أطلع عليها أحداً. وقد بدأ نظري يضعف إلى درجة أني لم أعد قادراً على القراءة بقدر ما أريد، وبما أنه لا توجد لديّ وسيلة تسلية أخرى أمضي بها وقتي، فإني أحبّ أن أكتب

وأكتب، لإزجاء الوقت. وإني أكتب بأحرف كبيرة، بفرشاة، لتسهّل عليّ قراءة الكلمات. ومنعاً للإحراج، سأخفي مفكرتي في صندوق صغير وأقفله بمفتاح. وقد ملأت حتى الآن خمسة صناديق. وأظن أنني يجب أن أحرقها كلها ذات يوم، لكن ربما كان الاحتفاظ بها مفيداً. وعندما ألقي نظرة على إحدى يومياتي القديمة، فإني أدهش عندما أكتشف أن ذاكرتي قد أصابها وهن شديد، وبدأت أنسى كثيراً. فقد أصبحت الأحداث التي وقعت قبل سنة تبدو لي كأنها جديدة تماماً، لكن اهتمامي لا يذوي أبداً.

عندما سافرنا إلى كارويزاوا في الصيف الماضي، غيّرت ديكور غرفة النوم والحمّام والمرحاض. ومع أنني أصبحت كثير النسيان، فإني أتذكّر ذلك جيداً. لكن عندما أنظر في مذكرات السنة الماضية، يتبين لي أنني حذفت التفاصيل. لكن أمراً جديداً قد طرأ فجعلني أملأ بضعة تفاصيل عنه.

وحتى الصيف الماضي، كنت أنام إلى جانب زوجتي في غرفة مؤثثة على الطريقة اليابانية، لكننا وضعنا في السنة الماضية أرضية خشبية بدلاً من فرشها بالحصر، ووضعنا فيها سريرين. سرير لي، وخصصنا السرير الآخر للممرضة ساساكي. وحتى قبل أن نفعل ذلك، كانت زوجتي تنام وحدها في غرفة الجلوس أحياناً، ومنذ أن جددنا الديكور، أصبحنا ننام منفصلين. فأنا أنهض مبكراً وآوي إلى الفراش في وقت مبكّر، بينما تخلد زوجتي إلى النوم في وقت متأخر، وتحبّ أن تسهر حتى ساعة متأخرة من الليل أيضاً. ومع أنني كنت أفضّل تركيب مرحاض بالطريقة الغربية، كانت تقول إنها تنزعج إذا لم يكن المرحاض واطئاً على الطريقة اليابانية. وكانت هناك

أسباب عديدة أخرى لتجديد الديكور، يهدف بعضها إلى توفير الراحة للطبيب والممرضة. لذلك تم تجهيز المرحاض الذي نستخدمه الموجود في الغرفة المجاورة أسفل الممر إلى اليمين، بمقعد، لكي أستعمله أنا فقط، وأقمنا باباً في الحائط بينه وبين غرفة نومي. كما أجرينا تغييرات كبيرة في الحمّام، الموجود على الجانب الآخر من غرفة النوم: فقد تم إكساء الحمّام الجديد بالبلاط بما في ذلك الحوض، ركّبنا كذلك دشاً. كان ذلك بناء على طلب ساتسوكو، وأقمنا كذلك باباً يفصل بين الحمّام وغرفة النوم، لكن إذا دعت الحاجة، يمكنك أن تقفل الحمّام من الداخل.

يجب أن أضيف أن الغرفة التي تقع خلف المرحاض هي غرفة مكتبي (وفتحنا باباً بينهما أيضاً)، والغرفة القابعة خلفها مخصصة للممرضة التي تنام في السرير إلى جانب سريري في الليل، وخلال النهار تمكث عادة في غرفتها، أما زوجتي فتبقى في غرفة الجلوس بجانب الممر طوال الليل والنهار، وتمضي معظم أوقاتها في مشاهدة التلفزيون أو الاستماع إلى الراديو. وهي نادراً ما تغادر الغرفة إذا لم يكن لديها شيء معين تفعله، بينما يقيم جوكيشي وزوجته وكيسوكي في الطابق الثاني الذي توجد فيه غرفة ضيوف مؤثثة على الطراز الغربي. فمن الواضح أن الشباب قد جددوا ديكور غرفة جلوسهم على نحو رائع، لكن بما أنني لا أستطيع أن أمشي بشكل متوازن، فلن أجازف كثيراً بصعود الدرج اللولبي.

أثير بعض الجدل عندما جددنا ديكور الحمّام؛ فقد أصرّت زوجتي على وضع حوض خشبي، بذريعة أن الماء في الحوض المبلّط يظل حاراً لفترة طويلة، أما البلاط فيكون بارداً بطريقة مزعجة

وليس مريحاً في الشتاء؛ لكني قبلت اقتراح ساتسوكو (لم أذكر نزوتها هذه لزوجتي) وتبليطه، الأمر الذي تبين أنه فشل ذريع - لعلي يجب أن أقول نجاحاً - لأنه تبين أن البلاط المبلل زلق على نحو خطير بالنسبة لشخص مسن. ففي إحدى المرات، انزلقت قدما زوجتي على الأرضية الجديدة وسقطت بقوة. وفي إحدى المرات، عندما أمسكت حافة الحوض للخروج منه، انزلقت يدي ولم أتمكن من الوقوف على قدميّ. وبما أنني لم أتمكن من استخدام يد واحدة فقط، فقد كنت في وضع لا أحسد عليه. وبالرغم من أنني وضعت ألواحاً على الأرض لتجفيف الماء، لم أستطع أن أفعل شيئاً حيال الحوض.

لكن تطوراً جديداً حدث الليلة الماضية.

فقد دأبت الآنسة ساساكي على الذهاب إلى بيت أهلها لتمكث ليلة أو ليلتين في الشهر، وكانت تغادر في المساء وتعود قبل ظهر اليوم التالي. وفي الليالي التي كانت تغيب فيها، كانت زوجتي تأخذ مكانها في السرير بجانبي. وكنت آوي إلى الفراش في الساعة العاشرة، بعد أن أستحم مباشرة.

منذ أن سقطت، قررت زوجتي أن لا تساعدني في الاستحمام، وبدأت ساتسوكو أو الخادمة تفعلان ذلك، لكنهما لم تكونا بمهارة أو براعة الآنسة ساساكي. إذ تعدّ ساتسوكو كل شيء بعناية، لكنها سرعان ما تقف جانباً وتراقب، دون أن تساعدني جيداً، وكان كلّ ما تفعله هو أن تمرر الليفة بقوة حتى أسفل ظهري؛ وعندما أغادر الحوض تجفّفني بمنشفة من الوراء، وتذري عليّ بودرة أطفال، ثم تشعل المروحة الكهربائية. وبدافع من الحياء أو من النفور، فهي لا

تأتي أمامي على الإطلاق، وتساعدني أخيراً في ارتداء برنس الحمّام وتقودني بسرعة إلى غرفة النوم، ثم تخرج وتجري في الممر، وتقول لي إن زوجتي يجب أن تكمل ما تبقى وإنها ليست مسؤولة عن ذلك. وكنت أتمنى أن تمضي ساتسوكو الليلة في غرفة نومي أيضاً بين الحين والآخر، لكن ربما لأن زوجتي كانت تراقبها، فقد كانت تتعمد أن تعاملني بفظاظة.

وبما أن زوجتي لم تكن تحب النوم في سرير شخص آخر، فقد كانت تحرص على تبديل الملاءات والبطانيات، وكانت ترقد بقلق. وبسبب سنها، كانت تضطر للذهاب إلى الحمّام مرتين أو ثلاث مرات في الليلة، وكانت تقول إن المرحاض الغربي الطراز لا يلائمها، فتضطر إلى قطع كل تلك المسافة للذهاب إلى المرحاض الياباني الطراز لقضاء حاجتها. وكانت لا تني تقول متذمرة إن هذا الأمر يحرمها من نوم ليلة هادئة. وفي سرّي، كنت أرجو أنّ تأخذ ساتسوكو مكانها في الليلة التي تغيب فيها الآنسة ساساكي.

بمحض الصدفة، حدث كلّ ذلك ليلة البارحة. فقد استأذنت الآنسة ساساكي للذهاب في تلك الليلة، وغادرت المنزل في السادسة مساء. وبعد تناول العشاء، اعترى زوجتي دوار فانسحبت إلى غرفتها لترتاح. وكان من الطبيعي أن تبقى ساتسوكو معي لتساعدني في الاستحمام أيضاً. في البداية، كانت ترتدي سروال مصارعي الثيران يصل إلى ركبتيها، وقميص بولو أزرق ناصعاً رسمت عليه صورة برج إيفل. كانت تبدو نضرة وأنيقة وفي أبهى حللها. لعل ذلك كان في مخيلتي فقط، لكن بدا لي أنها أحاطتني بعناية غير عادية، إذ يمكنني أن أحسّ بيديها فوق جسمي، على الرقبة، الكتفين، الذراعين.

بعد أن قادتني إلى غرفة النوم، قالت: «سأعود بعد قليل - انتظرني لحظة. أريد أن أستحمّ أيضاً»، وعادت إلى الحمّام. انتظرت قرابة نصف ساعة، وأنا جالس على حافة السرير أنتظرها، وقد تملّكني شعور بالتوتر على نحو غريب. وأخيراً، خرجت ووقفت أمام باب الحمّام. كانت ترتدي الآن مبذلاً قطنياً وردي اللون بلون سمك السلمون، وتنتعل خفاً صينياً من الساتان مطرّزاً بنبات الفاونيا.

«آسفة لأنني تأخرت كثيراً». ما إن دخلت الغرفة، حتى فُتح الباب المطل على الممر وجلبت أوشيزو كرسياً من خيزران الهند القابل للطي. سألتني ساتسوكو، «أبتي، ألم تنم بعد؟»

«كنت على وشك أن أنام ياعزيزتي، لكن لماذا تريدين شيئاً كهذا؟» ففي غياب زوجتي، كنت أرغب في التحدث مع ساتسوكو بحميمية أكثر من المعتاد. وفي معظم الأحيان، كنت أتقصد عمل ذلك، وكان ذلك يبدو طبيعياً، عندما نكون وحدنا. وكانت ساتسوكو، عندما نكون وحدنا، أنا وهي فقط، تكلّمني بطريقة ماجنة، وكانت تعرف تماماً كيف تستثيرني.

«إنك تنام عادة في وقت أبكر بكثير، لذلك سأجلس هنا وأقرأ».

فتحتْ كرسي الخيزران وأصبح أشبه بأريكة، وتمدّدتْ فوقه، وفتحتْ كتاباً أحضرته معها. كان يبدو أنه باللغة الفرنسية. ظلّلت المصباح بقطعة قماش لتبعد الضوء عن عيني. لا بد أنها لم تكن تحب النوم على سرير الآنسة ساساكي أيضاً، لذلك كانت ترغب في النوم على الكرسي.

عندما تمددت غلى كرسي الخيزران، اضطجعت أنا أيضاً. يوجد مكيّف هواء في غرفة النوم، لكنني كنت أبقيه منخفضاً حتى لا

تبرد ذراعيَّ. في الأيام القليلة الماضية، كان الطقس خانقاً شديد الرطوبة، لذلك طلب الطبيب والممرضة استخدام المكيّف للتخفيف من حدة الرطوبة. وبينما تظاهرت بالنوم، رحت أراقب خفيّ ساتسوكو الصينيين الصغيرين المدبّبين البارزين من تحت مبذلها. فمن النادر أن ترى مثل هاتين القدمين المستدقتين الرهيفتين في فتاة يابانية.

«أبتي، ألا تزال مستيقظاً؟ تقول الآنسة ساساكي إنها تسمع شخيرك ما إن تأوي إلى الفراش».

«لسبب ما، لا يغمض لي جفن الليلة».

«هل ذلك بسببي؟»

عندما لم أجب، قهقهت وقالت: «إن الانفعال لا يلائمك»، ثم أضافت بعد وهلة: «ربما من الأفضل أن أعطيك قليلاً من الأدالين».

هذه أول مرّة أرى فيها ساتسوكو مغناجة، فأثارتني كثيراً.

«ليس من الضروري».

«لا تهتم، سأجلبه لك».

عندما ذهبت لتبحث عن الدواء لمعت برأسي فكرة ذكية.

«ها هو! هل تكفيك حبتان؟» أخرجت حبتين من زجاجة الأدالين، ووضعتهما في طبق صغير، ثم ذهبت لتحضر كوباً من الماء من الحمّام.

«الآن، افتح عينيك على وسعهما! ألست سعيداً لأنني أعطيك الدواء بنفسي؟»

«نعم، لكن لا تقدميه لي في طبق - امسكي الحبتين بين إصبعيك وضعيهما في فمي».

«سأذهب لأغسل يديّ إذاً»، وتوجهت إلى الحمّام ثانية.

«سيندلق الماء من فمي»، قلت عندما عادت، «وبما أنكِ ستفعلين ذلك، فلماذا لا تضعينهما في فمي؟»

«لا تكن سخيفاً»، ودفعت الحبتين بسرعة ورشاقة في فمي وأجرعتني الماء وراءهما. حاولت أن أتظاهر بأنني نائم، لكني غططت في النوم رغماً عني.

## ٢٤ تموز (يوليو)

ليلة البارحة ذهبت إلى المرحاض مرّتين، في حوالى الساعة الثانية والساعة الرابعة. لا بد أن ساتسوكو قد نامت على كرسي الخيزران. كان المصباح مطفأً، وكان الكتاب الفرنسي ملقى على الأرض. يمكنني القول إنني ذهبت إلى المرحاض مرتين في الليل بسبب دواء الأدالين. وكعادتي، استيقظت في الساعة السادسة صباحاً.

«هل استيقظت يا أبتي؟» استيقظت ساتسوكو في وقت متأخر، وفوجئت وأنا أراها تنتصب في جسلتها بسرعة ما إن تحرّكت، سألتني: «هل كنت مستيقظاً؟»

«لم يغمض لي جفن ليلة البارحة!»

عندما رفعت الستارة عن النافذة، جرت بسرعة إلى الحمّام، وكأنها لا تريدني أن أرى وجهها فور استيقاظها.

في حوالى الساعة الثانية بعد الظهر، بينما كنت لا أزال مستلقياً في السرير متململاً بعد أن غفوت قرابة الساعة، رأيت بغتة باب

الحمّام يُفتح قليلاً، وبرز منه رأس ساتسوكو. رأسها فقط - لم أتمكن من رؤية باقي جسمها. كانت تغطي رأسها بقبعة حمام من الفينيل، وكانت قطرات الماء تتساقط من رأسها. تناهى إليّ صوت خرير الماء.

«آسفة لأنني خرجت مبكّراً هذا الصباح. إني أستحمّ - ظننت أنك تأخذ قيلولة، لذلك اختلست النظر لأرى إن كنت لا تزال نائماً».

«لا بد أن اليوم يوم الأحد. هل جوكيشي هنا؟»

بدلاً من أن تجيب، قالت: «حتى عندما أكون في الحمّام، فإني لا أقفل هذا الباب، ويمكن فتحه في أي وقت».

هل قالت ذلك لأنني أستحمّ في المساء على الدوام، أم لأنها تثق بي؟ أم أنها تقصد أن تقول: «تعال وانظر إن أردت»؟ أو أنها تقصد: «إني لا أكترث لرجل عجوز سخيف بأي شكل من الأشكال؟» لا أعرف ماذا تقصد من قولها هذا.

«جوكيشي في البيت اليوم، وهو مشغول في التحضير للشواء في الحديقة لهذا العشاء».

«هل سيأتي أحد لزيارتنا؟»

«هاروهيسا والسيد أماري، بالإضافة إلى عدد من أفراد أسرة كوغاكو، كما أظن».

ليس من المحتمل أن يزورنا أحد من أسرة كوغاكو بعد ما حدث. وإذا جاء أحد منهم، فربما يأتي الأطفال فقط.

## ٢٥ تموز (يوليو)

في الليلة السابقة ارتكبت خطأً فادحاً. كانت الساعة تقارب السادسة والنصف عندما بدأ الشواء في الحديقة، لكن ساد جو من المرح والنشاط، لذلك رغبت في الانضمام إلى مجموعة الشباب. لكن زوجتي بذلت كلّ ما بوسعها لتمنعني من ذلك، وقالت محذرة إنني إذا خرجت وجلست على العشب في ذلك الوقت من اليوم فإني سأصاب ببرد شديد. أما ساتسوكو فقد شجعتني على الانضمام إليهم.

وقالت: «لفترة قصيرة فقط يا أبتي».

لم تكن لديّ شهية لتناول قطع لحم الضأن والدجاج التي كانوا يلتهمونها بنهم شديد، ولم أكن أنوي تناولها. وكان كلّ ما أردته حقاً هو أن أرى كيف يتصرف هاروهيسا وساتسوكو عندما يكونان معاً. لكن بعد حوالى نصف ساعة من خروجي إلى الحديقة، بدأ البرد يسري في ساقيّ ووركيّ. كان ذلك لأن تحذير زوجتي جعلني متوتراً وعصبياً. وأخيراً، حتى الآنسة ساساكي التي يبدو أنها سمعت تحذير زوجتي لي، خرجت إلى الحديقة لتحذيري. وكالعادة فقد ازددت عناداً، ورفضت أن أتزحزح من مكاني، مع أنني كنت أعرف أن البرد بدأ يشتد. إن زوجتي تفهمني جيداً لذلك لم تلحّ عليّ كثيراً، أما الآنسة ساساكي، فقد بدت قلقة للغاية، فنهضتُ أخيراً، بعد أن أمضيت نصف ساعة أخرى، وعدت إلى غرفتي.

لم يكن ذلك نهاية الأمر، ففي حوالى الساعة الثانية صباحاً أيقظتني حكّة شديدة في مجري البول؛ وعندما هرعت إلى المرحاض

لكي أبول، رأيت أن لون البول حليبي. عدت إلى السرير، وبعد خمس عشرة دقيقة شعرت بالحاجة إلى التبوّل ثانية، ولم يكن الإحساس بالحكة قد تلاشى بعد. وحدث ذات الشيء مرّتين أخريين، إلى أن أعطتني الآنسة ساساكي أربعة أقراص من السينومين، ودفّأت السرير بكيس ماء ساخن، فبدأت أشعر بالتحسن.

منذ عدة سنوات بدأت أعاني من تضخم في البروستات (كانوا يطلقون على هذه الغدّة اسماً مختلفاً عندما كنت شاباً، عندما أصبت بمرض جنسي): ففي بعض الأحيان يتجمع البول لفترة طويلة، فيتعين سحبه بالقسطرة أحياناً. ويقولون إن احتباس البول أمر مألوف عند الرجال المسنين، لكن في أحسن الأحوال، لم يكن بولي يتدفّق بسلاسة، وكان يعتريني حرج شديد عندما أقف أمام مبولة في تواليت أحد المسارح مثلاً، ويصطف الرجال ورائي بانتظار دورهم. وقال لي أحدهم إن الجراحة لتصحيح البروستات المضخمة أصبحت ممكنة للرجال حتى لو بلغوا منتصف السبعينات من العمر، وإنه يجب أن أمضي وأجري العملية. وقال: «لا يمكنك أن تتخيّل مدى التحسن الذي يمكنك أن تحصل عليه»، وأضاف، «وبعدها سيعود البول يتدفق كما كان عندما كنت شاباً - ستشعر كأنك عدت إلى أيام الشباب»؛ لكن الآخرين حذّروني وقالوا عكس ذلك، وقالوا إن العملية صعبة ومزعجة. الآن بعد أن أجّلتها كثيراً، يبدو أنني كبرت في السن كثيراً، لكن حالتي أخذت تتحسّن إلى أن ارتكبت هذه الحماقة وانتكست. قال لي الطبيب يجب أن أكون حريصاً لفترة من الزمن. وقال إنه توجد آثار جانبية ضارّة إذا استخدم دواء السينومين لمدة طويلة، لذلك يجب أن أتناول أربعة أقراص دفعة واحدة، ثلاث

مرات في اليوم، لمدة لا تتجاوز ثلاثة أيام، وإنه يجب أن أجري فحصاً للبول صباح كلّ يوم، وإذا أصابني أي نوع من البكتيريا، فيجب أن أتناول شراب أباروشي.

لذلك لن أذهب هذه الليلة لمشاهدة المباراة على لقب كوراكوين. وبما أنه قد طرأ تحسن كبير على مجرى البول هذا الصباح، فقد أصبح بإمكاني الذهاب، لكن الآنسة ساساكي لم تكن ترغب في سماع ذلك مطلقاً، وصاحت، «إن مجرد فكرة خروجك في الليل مرفوضة».

«أبتي المسكين»، قالت ساتسوكو، عندما مرت بجانبي، وأضافت، «من المؤسف أنك لن تتمكن من مشاهدتها؛ سأحدّثك عنها عندما أعود».

اضطررت للبقاء في البيت ولذت بالصمت وأسلمت نفسي لإبر الدكتور سوزوكي. كانت جلسة طويلة ومؤلمة بعض الشيء، من الساعة الثانية والنصف حتى الرابعة والنصف، استرحت خلالها لمدة عشرين دقيقة فقط.

أغلقت المدرسة أبوابها وجاءت العطلة الصيفية، مما يعني أن كيسوكي ستذهب قريباً إلى كارويزاوا مع الأطفال من تسوجيدو، وستأخذهم كوغاكو وزوجتي. قالت ساتسوكو إنها ستعود في الشهر القادم، وتأمل أن يعتنوا بكيسوكي أثناء ذلك. ويستطيع جوكيشي أيضاً أن يمضي خلال الشهر القادم حوالى عشرة أيام هناك. من المحتمل أن يأتي زوج كوغاكو أيضاً. يقول ابن أخي هاروهيسا إنه مشغول جداً في عمله في التلفزيون. إذ يوجد لدى المصمم الفني وقت فراغ أثناء النهار، لكنه مرتبط على الدوام في الليل...

## ٢٦ تموز (يوليو)

في الآونة الأخيرة، أصبح روتيني اليومي على النحو التالي: أستيقظ في الساعة السادسة صباحاً وأتوجّه إلى الحمّام؛ وعندما أبدأ أتبوّل، أضع قطرات البول الأولى في أنبوبة اختبار معقّمة، ثم أغسل عينيَّ بمحلول حمض البوريك، ثمّ أتغرغر بعناية، وأغسل فمي بمحلول بيكينغ صودا، وأنظّف لثتي بمعجون أسنان من الكلوروفيل، وأثبت طاقم أسناني الصناعية. ثم أتمشى في الحديقة قرابة نصف ساعة، ثم أعود وأستلقي على السرير المنزلق لمدة نصف ساعة أيضاً. ويعد الفطور وجبة الطعام الوحيدة التي أتناولها في غرفة النوم: كوب من الحليب، وشريحة من الخبز المحمّص مع قطعة من الجبن، وعصير نباتي، وفاكهة، وشاي - وقرص ألينامين. ثم أتوجّه إلى غرفة مكتبي لألقي نظرة على الجريدة، وأدوّن في مذكراتي، وإذا بقي لديّ وقت، فقد أقرأ كتاباً. لكني أمضي معظم فترة الصباح في تدوين يومياتي، وأمضي أحياناً شطراً من فترة بعد الظهر أو المساء في عمل ذلك. وفي الساعة العاشرة صباحاً، تأتي الآنسة ساساكي إلى غرفة مكتبي لتقيس ضغط دمي. ومرّة كلّ ثلاثة أيام تقريباً، أتناول حقنة ٥٠ ملغ من الفيتامينات. وعند الظهر، أتناول طعام الغداء في غرفة الطعام، الذي يتألف عادة من زبدية من المعكرونة وثمرة فاكهة، ثم آخذ قيلولة من الساعة الواحدة حتى الثانية بعد الظهر في غرفة النوم. ويعالجني الدكتور سوزوكي بالوخز بالأبر ثلاثة أيام في الأسبوع: الإثنين والأربعاء والجمعة، من الساعة الثانية والنصف حتى الرابعة والنصف. وبدءاً من الساعة الخامسة، أمضي

نصف ساعة أخرى على السرير المنزلق لعملية الشدّ. وفي الساعة السادسة، أتمشى في الحديقة. وترافقني الآنسة ساساكي في جولتي الصباحية والمسائية، ومن حين لآخر، تأخذ ساتسوكو مكانها. وأتناول العشاء عند السادسة والنصف، حيث يفترض أن أتناول زبدية صغيرة فقط من الرزّ، لكنني أتناول كمية من اللحم والسمك والخضار، لذلك توجد لدينا أنواع عديدة من الأطعمة تشمل أطعمة ترضي أذواق الشباب. ويبدو أننا نتناول جميعاً أطعمة مختلفة، وفي غالب الأحيان، في أوقات مختلفة. وبعد انتهاء العشاء، أستمع إلى المذياع في غرفة مكتبي، ولكي لا أتعب عينيّ، فإني لا أقرأ في الليل، وقلما أشاهد التلفزيون.

لا أزال أذكر ما أفضت به إليّ ساتسوكو يوم أول البارحة، بعد ظهر يوم الأحد. ففي الساعة الثانية تقريباً، عندما استيقظت من قيلولتي، وكنت لا أزال راقداً في السرير متململاً، مدّت رأسها من الحمّام وقالت لي: «حتى عندما أكون في الحمّام فإني لا أقفل هذا الباب! ويمكن فتحه في أي وقت».

سواء أكان ذلك محسوباً أم لا، فقد أثارتني هذه الكلمات التي انبعثت من شفتيها. في تلك الليلة تناولنا الشواء، وأمضيت البارحة أسترد عافيتي، ولكن صدى كلماتها كان لا يزال يتردد في رأسي. وفي الساعة الثانية بعد ظهر اليوم، استيقظت من قيلولتي وتوجهت إلى غرفة مكتبي، وعدت إلى غرفة النوم في الساعة الثالثة. فقد عرفت مؤخراً أن ساتسوكو تستحمّ في هذا الوقت عندما تكون في البيت. وبدافع من التجربة، دفعت باب الحمّام قليلاً، خلسة. وكما كان متوقعاً، لم يكن الباب مقفولاً، وسمعت صوت نشيش الدش.

«هل تريد شيئاً؟»

كنت قد لمست الباب، ولم أكد أحركه، لكن يبدو أنها لاحظت ذلك في الحال. تملكتني الدهشة، لكني سرعان ما استجمعت شجاعتي.

«قلتِ إنكِ لا تقفلين الباب أبداً، لذلك أردت أن أجرّبه لأتأكد من ذلك». عندما نطقت هذه الكلمات، اختلست نظرة إلى الحمّام. كانت ساتسوكو واقفة تحت الدش، لكن ستائر الدش الخضراء والبيضاء المخطّطة أخفت جسدها بالكامل.

«الآن هل صدّقتني؟»

«صدّقتك».

«ماذا تفعل هناك؟ ادخل!»

«ألا تمانعين؟»

«إنك ترغب في ذلك، أليس كذلك؟»

«لا يوجد لديّ سبب معين».

«الآن، الآن! هدئ من روعك! فإذا انفعلت فإن قدمك ستنزلق وتقع».

كانت قد رفعت ألواح تصريف الماء، وتبللت الأرضية المكسوة بالبلاط. وبخطوات شديدة الحذر، دخلت الحمّام وأغلقت الباب ورائي. وكانت تدعني أحياناً ألمح شيئاً من كتفها وركبتها ومقدمة قدمها من بين ستارة الدش.

«ربما كان من الأفضل أن أعطيك سبباً».

توقّف الدش. أدارت ظهرها نحوي، وكشفت عن الجزء العلوي من جسدها بين الستائر.

«خذ هذه المنشفة وجفّف لي ظهري. انتبه، لأن الماء يقطر من رأسي».

عندما خلعت قبعة رأسها الفينيل تناثرت عليّ قطرات من الماء.

«لا تكن خجولاً هكذا، قوّي يدك أكثر. آه، نسيت أن يدك اليسرى ليست قوية. حسناً، افرك بيدك اليمنى بأقوى ما تستطيع».

وفجأة أمسكتها من كتفيها من خلال المنشفة. وما إن قبّلتها بلساني على رقبتها الناعمة عند كتفها اليمنى، حتى صفعتني بقوة على خدي.

«ألا تخجل من تصرفك هذا، وأنتَ في هذا العمر؟»

«ظننت أنك تسمحين لي بهذا القدر».

«إني لا أسمح بشيء كهذا. سأخبر جوكيشي إن فعلت ذلك ثانية».

«آسف».

«أرجوك اخرج»، لكنها سرعان ما أصبحت رقيقة معي، وقالت:

«لا تنزعج! هدئ من روعك - يجب ألا تنزلق قدمك».

عندما تلمّست طريقي نحو الباب، أحسست بلمسة رقيقة من أطراف أصابعها فوق ظهري. ذهبتُ وجلست على السرير لأستعيد أنفاسي. وبعد قليل، جاءت مرتدية عباءة قطنية، ومنتعلة خفيها المطرزين اللذين برزا من تحت العباءة.

«إني في غاية الأسف لما بدر مني».

«إنسَ الأمر، لم يحدث شيء».

«هل أزعجتك؟»

«لا، لكنني فوجئت بعض الشيء. إني أسرع في صفع وجه رجل، هكذا تكون ردة فعلي».

«هذا ما ظننته. لا بدّ أنك صفعتِ الكثير من الرجال».

«لكن لم يكن عليّ أن أصفعك».

## ٢٨ تموز (يوليو)

لم يكن البارحة في الحسبان، بسبب معالجتي بالوخز بالإبر، لكن في الساعة الثالثة بعد الظهر من هذا اليوم، وضعت أذني على باب الحمّام ثانية. كان المزلاج مفتوحاً. سمعت صوت نثيث الماء.

«ادخل - إني أنتظرك»، قالت ساتسوكو، «إني متأسفة كثيراً لما حدث في ذلك اليوم».

«حسناً».

«عندما تكون متقدماً في السن فقد تفلت من أشياء كثيرة من دون عقاب».

«بعد تلك الصفعة، أظن أنني أستحقّ تعويضاً ما».

«إني لا أمزح. عدني بأنك لن تفعل شيئاً من هذا القبيل مرة أخرى».

«مع ذلك يجب أن تدعيني أقبّلك على عنقك».

«لا أحبّ أن أُقبَّل في العنق».

«أين تحبين إذاً؟»

«لا أحبّ في أي مكان. إن ذلك يجعلني أشعر بالغثيان طوال اليوم، وكأنّ دودة بزّاقة لعقتني».

ابتلعت ريقي بصعوبة، وقلت: «أتساءل كيف تشعرين إذا فعل لك ذلك هاروهيسا».

«سأصفعك ثانية! إني جادة فيما أقول! في المرة السابقة، صفعتك صفعة خفيفة».

«يجب ألا تكوني معقدة».

«إن يدي تصفع حقاً! إذا صفعتك، فسترى نجوماً حقاً».

«لكن هذا ما أريده».

«إنك رجل مستحيل! رعب الطفولة الثانية».

«أسألكِ مرة أخرى: إذا لم تكوني ترغبين بالقبلة على عنقك، فأين تريدينها؟»

«يمكنك أن تفعلها مرة واحدة تحت الركبة - مرة واحدة فقط، إني أحذرك! شفتاك فقط، لا تلمسني بلسانك».

كانت مختفية تماماً وراء ستارة الدش، ماعدا إحدى ساقيها تحت الركبة.

«يبدو كأنكِ ستجرين فحصاً نسائياً».

«مغفل».

«إنك تبدين غير عقلانية، تطلبين مني أن أقبلك من دون أن أستخدم لساني».

«لا أطلب منك أن تقبّلني - إني أسمح لك فقط أن تلمسني بشفتيك. هذا يكفي لرجل عجوز مثلك».

«يمكنك أن توقفي الدش على الأقل».

«طبعاً لا، لأن ذلك يجعل جلدي يقشعر، إلا إذا اغتسلت على الفور».

كان طعمها كأنني أشرب ماء وأنها ليست قبلة.

«بمناسبة الحديث عن هاروهيسا يا أبتي، أريد أن أطلب منك معروفاً».

«ما هو؟»

«يريد هاروهيسا أن يأتي ليستحمّ بين الحين والآخر، بسبب الحرارة. لقد طلب مني أن أسالك إن كنت لا تمانع».

«ألا يمكنه أن يستحمّ في محطة التلفزيون».

«يمكنه ذلك، لكن يوجد حمّام للممثلين، وحمّام للعاملين الآخرين، وهو قذر جداً ولا يحبّ أن يستخدمه. لذلك يضطر للذهاب إلى حمّام عام بالقرب من جينزا، لكن إذا كان بإمكانه أن يستخدم حمّامنا، فإن ذلك سيوفر عليه مشاكل كثيرة. طلب مني أن أسألك إن كنت توافق على ذلك».

«يجب أن تقرّري بنفسك أموراً كهذه، ولست مضطرة لسؤالي».

«في الواقع، لقد أدخلته سراً إلى هنا ذات مرة. لكنه يقول إنه لا يريد أن يأتي خلسة هكذا».

«لا مانع عندي. إذا أردتِ الحصول على إذن أحد، فاسألي زوجتي».

«أرجو أن تكلمها أنت بالنيابة عني يا أبتي؟ فأنا أخاف منها».

هذا ما تقوله ساتسوكو، لكنها في حقيقة الأمر تقلق عليّ أكثر من زوجتي. لأنها تظن أنها يجب أن تحصل على إذن خاص من أجل هاروهيسا...

## ٢٩ تموز (يوليو)

كالعادة، بدأت جلسة العلاج بالوخز بالإبر في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر اليوم. استلقيت على ظهري على السرير، وجلس الدكتور سوزوكي على كرسي بجانبي لمعالجتي. وبالرغم من أنه يفعل كلّ شيء بنفسه، حتى إخراج الإبر وتعقيمها في الكحول، يرافقه دائماً مساعد يقف في الخلف. وحتى الآن لم يطرأ أي تحسن على البرودة التي تعتري يدي أو على الشعور بالخدر في أطراف أصابعي.

بعد حوالى نصف ساعة، دخل هاروهيسا فجأة.

«أعذرني يا عمي توكوسوكي، فلن أبقى سوى دقيقة واحدة. إني آسف لإزعاجك وأنت تحت العلاج، لكن ساتسو أخبرتني أنك وافقت في ذلك اليوم، وأردت أن أبلغك امتناني. وإني أستغلّ لطفك، لذلك فكرت أن أتوقف قليلاً لأشكرك».

«لا حاجة لطلب إذن من أجل شيء تافه كهذا. يمكنك أن تأتي عندما تشاء».

«شكراً جزيلاً. سآتي من الآن فصاعداً، لكن ليس كلّ يوم... بالمناسبة، إنك تبدو في صحة جيدة».

«ماذا! إنني أزداد وهناً وشيخوخة - ساتسوكو تقول إن ذلك لأنني أعيش طفولتي الثانية».

«لكن ساتسو تحترمك كثيراً، وتقول لي لا تبدو أنك تشيخ».

«هراء! فأنا أتحمّل ألم هذه الإبر لأعيش بضعة أيام أخرى».

«لا أصدّق أن حالتك سيئة إلى هذه الدرجة. إنك ستعيش

سنوات عديدة أخرى. . . حسناً، يجب أن أذهب الآن، بعد أن ألقي تحية على عمتي».

«كما أرى فإنك مشغول على الدوام. في هذه الحرارة، لماذا لا تبقى وترتاح قليلاً؟»

«شكراً جزيلاً، لا أستطيع».

بعد مغادرة هاروهيسا بقليل، أحضرت أوشيزو صينية عليها مرطبات لشخصين. لقد حان وقت الاستراحة. قدمت لهما اليوم حلوى بودينغ بالكاسترد وشاياً بارداً. ثم واصلت العلاج حتى الساعة الرابعة والنصف.

عندما استلقيت أنتظر الدكتور سوزوكي حتى ينهي علاجه، رحت أفكّر في أمور أخرى.

تساءلت هل تكمن أمور أخرى وراء رغبة هاروهيسا في القدوم للاستحمام، وخيّل إليّ أنه يخطط لأمر ما. ربما كانت ساتسوكو هي التي رتبت كل ذلك. لماذا تعمّد المجيئ لزيارتي والطبيب لا يزال هنا؟ لعله قال لنفسه: لو فعلت ذلك، لتمكنت من الإفلات من قبضة هذا العجوز بسهولة أكبر. وكنت قد سمعته ذات مرة يقول إنه يكون مشغولاً في الليل، لكن بإمكانه أن يأتي في أي وقت أثناء النهار. لذلك يخيّل إليّ أنه سيأتي ليستحمّ بعد الظهر، عندما تكون ساتسوكو في الحمام. باختصار، سيأتي عندما أكون في غرفة مكتبي، أو عندما أكون في غرفة النوم بينما يقوم الطبيب بمعالجتي بالإبر. من المؤكد أن الباب لن يظل مفتوحاً عندما يكون في الحمّام، ولا بد أن يقفله من الداخل. أتساءل ألن تندم ساتسوكو لأنها أقدمت على هذه السابقة السيئة.

ثمة شيء آخر يثقل على تفكيري. ففي الأول من آب (أغسطس)، أي بعد ثلاثة أيام، ستذهب زوجتي وكيسوكي وكوغاكو وطفليها وخادمتنا الثانية أوزتسو، إلى كارويزاوا. وقال جوكيشي إنه سيذهب إلى أوساكا في اليوم التالي، ثم يعود إلى طوكيو في السادس من الشهر، وينضم إلى الآخرين في كارويزاوا يوم الأحد في السابع من الشهر، ويمضي ما تبقى من الأسبوع. لا بد أن ذلك يلائم ساتسوكو التي تقول إنها ستذهب إلى كارويزاوا لقضاء بضعة أيام في الشهر القادم. «حتى لو كانت الآنسة ساساكي وأوشيزو برفقته، فما يقلقني هو أن أترك أبي وحده في طوكيو - كما أن الماء في حوض السباحة في كارويزاوا ستكون باردة جداً ولا يمكن السباحة فيها! ولا يوجد لديّ مانع في الذهاب بين الحين والآخر، بشرط ألاّ تطلب مني أن أمضي وقتاً طويلاً هناك، بل إني أفضّل الذهاب إلى الشاطئ». وقد أقنعني ذلك أن أرتّب للبقاء في طوكيو.

«سأسافر قبلك»، قالت لي زوجتي، «متى ستأتي؟»

«لنر، ماذا يجب أن أفعل؟ أظن أنني سأبقى مع الدكتور سوزوكي، لأنني بدأت العلاج».

«لكن ألم تقل إن علاجه لم يفدك على الإطلاق؟ لم لا تتوقّف عن العلاج حتى يصبح الطقس بارداً؟»

«لا، أظن أنني بدأت أشعر بالتحسّن. سيكون من المؤسف حقاً إن توقفت الآن، بعد أقل من شهر».

«إذاً فإنك لا تنوي القدوم هذه السنة؟»

«لا، سآتي إن عاجلاً أم آجلاً».

وهكذا نجحت في تحاشي أسئلتها.

## ٥ آب (أغسطس)

في الساعة الثانية والنصف، وصل الدكتور سوزوكي، وبدأ معالجتي على الفور. بدأت فترة الاستراحة بعد الساعة الثالثة بقليل. أحضرت أوشيزو قليلاً من المرطبات: آيس كريم موكا وشاياً بارداً. عندما همّت بالمغادرة، سألتها عرضاً: «ألم يأتِ هاروهيسا اليوم؟»

«نعم يا سيدي، لكن لا بد أنه غادر الآن». بدا لي أنها تراوغ قليلاً.

كان الدكتور سوزوكي يأكل ببطء شديد، وكان يرشف رشفة من الشاي، بين كلّ ملعقة من الآيس كريم.

«أعذرني»، قلت له، ونزلت من السرير، وتوجهت إلى باب الحمّام. حرّكت مقبض الباب، فوجدت أنه مقفل. ولإشباع فضولي ذهبت إلى المرحاض، ثمّ خرجت إلى الممر وعدت إلى الحمّام، وحاولت فتح الباب. كان مفتوحاً، وكانت منطقة ارتداء الملابس فارغة. لكني رأيت فيها جورب هاروهيسا وقميصه الرياضي وسرواله. نظرت داخل الستائر، لكن مقصورة الدش كانت فارغة أيضاً. أما بلاط الأرضية فكان مبللاً وكانت قطرات الماء تسيل من الجدران. قلت لنفسي لا بد أن أوشيزو محرجة لذلك كذبت عليّ. لكن أين هو؟ وأين ساتسوكو بحق السماء؟ خرجت أبحث عنهما في غرفة الطعام فرأيت أوشيزو تهمّ بصعود الدرج وهي تحمل صينية عليها كأسان وقنينتا كولا.

شحب وجه أوشيزو، ووقفت عند أول درجة. كانت يداها ترتعشان وهي تحمل الصينية. اعتراني حرج أنا أيضاً، فليس من

المعتاد ان أتجول في أرجاء البيت في هذه الساعة.

«إذاً هل لا يزال هاروهيسا هنا؟» سألتها، محاولاً ان أبدو مرحاً.

«نعم يا سيدي. ظننت أنه ذهب...»

«آه؟»

«... لكنه كان يستبرد في الطابق العلوي».

كأسان وقنينتا كولا. كانا كلاهما «يستبردان» في الطابق العلوي - أتساءل هل استحمّ وحده. وبما أن ثيابه مكوّمة في غرفة الثياب، فلا بد أنه بدّل ثيابه وارتدى كيمونو الحمّام. بالطبع توجد لدينا غرفة للضيوف في الطابق الثاني، لكني تساءلت أين هما الآن. لا بد أنها أعارته الكيمونو، لكن بما أن زوجتي مسافرة، والغرف الثلاث في الطابق السفلي فارغة، فليس من الضروري أن تأخذه إلى غرفة في الطابق العلوي. لا ريب أنهما ظنا أن الطبيب سيعالجني حتى الساعة الرابعة والنصف، وليس من المحتمل أن أغادر سريري.

بعد أن راقبت أوشيزو وهي تصعد الدرج، عدت إلى غرفتي مباشرة واستلقيت على السرير. كان قد مضى على خروجي من الغرفة أقل من عشر دقائق، وكان الطبيب على وشك أن ينتهي من تناول الآيس كريم.

أخرج الدكتور سوزوكي إبره ثانية. وفي الساعة التالية أصبحت تحت رحمته. ثم غادر في الساعة الرابعة والنصف، وعدت إلى غرفة مكتبي. في هذه الفترة كان هناك وقت كاف حتى يتسلل هاروهيسا ويهبط الدرج، ويغادر البيت من دون أن أعرف. لكنهما أخطآ في الحساب أيضاً: فلم أخرج إلى الممر فجأة فقط، بل صادفت أوشيزو

أيضاً، وإلا لما كان من الممكن أن يعرفا أنني عرفت ما يجري، وربما لم يكن ذلك من سوء الحظ. فلو كنت شكوكاً، لقلت إن ساتسوكو، التي تعرف أنني أشكّ فيها، قد خمّنت أنني كنت أتجسّس عليها خلال فترة توقف العلاج للاستراحة. لعلها تعمدت أن تتيح لي الفرصة، بعد أن خطّطت مسبقاً لإرسال أوشيزو بمهمة في ذلك الوقت بالتحديد. لعلها كانت تظن أن من مصلحتها أن يعرف الرجل العجوز في نهاية الأمر، فيعتاد على الفكرة بسرعة.

في خيالي سمعت ساتسوكو تقول: «لا تكترث! لا داعي لأن تخرج بسرعة. استرخ وامكث مدة أطول».

من الساعة الرابعة والنصف حتى الخامسة، استراحة، ومن الساحة الخامسة حتى الخامسة والنصف، عملية الشدّ، ومن الخامسة والنصف حتى السادسة، استراحة. في هذه الأثناء، ربما غادر الضيف في الطابق العلوي بما قبل انتهاء علاجي، وسواء أغادرت ساتسوكو معه، أم أنها كانت تشعر بالحرج ولم ترني وجهها، لم أرها منذ الغداء. (في الأيام الثلاثة الماضية، كنت أتناول طعامي وحدي معها). وفي الساعة السادسة، جاءت الآنسة ساساكي لتذكّرني بموعد مزاولة المشي في الحديقة. بينما كنت أهبط الدرج من الشرفة، ظهرت ساتسوكو من مكان ما، وقالت إنها سترافقني اليوم.

«متى غادر هاروهيسا؟» سألتها عندما وصلنا إلى العريشة.

«بعد ذلك مباشرة».

«بعد ماذا؟»

«بعد أن شربنا الكولا مباشرة. قلت له إن الأمر سيبدو سيئاً إذا غادر بهذه السرعة، بعد أن عرفت بوجوده هنا».

«أظن أنه خجول جداً؟»

«لم يكفّ عن القول إنك ستسيء فهمه، ورجاني أن أوضح لك الأمر».

«يكفي. لا أريد أن أسمع المزيد عن هذا الأمر».

«إذا أردت أن تسيء فهمي فأنت حر! فقد صعدنا إلى الطابق العلوي لنشرب الكولا، ونتنعم بالنسيم هناك! أظن أن هذا الأمر يبدو غريباً لرجل عجوز. إن جوكيشي سيتفهم الأمر».

«لا تقلقي، لا يهمني ماذا حدث».

«لكن أنا يهمني».

«دعيني أسألك هذا - ألا تسيئين فهمي؟»

«ماذا تقصد؟»

«حتى لو افترضنا - مجرد افتراض، انتبهي - أن ثمة شيئاً بينكِ وبين هاروهيسا، فإني لا أريد أن ألاحظ ذلك».

رمقتني ساتسوكو بارتياب، لكنها لم تحر جواباً.

«لن أخبر زوجتي أو جوكيشي بهذا الأمر. سأحتفظ بسرّك هذا».

«أبتي، هل تطلب مني أن أستمر؟»

«ربما».

«لقد جننت».

«ربما. هل هذه هي أول مرة تدركين فيها كيف أشعر، فتاة ذكية مثلك؟»

«لكن من أين تأتي بمثل هذه الأفكار؟»

«بما أنني لم أعد أستمتع بالإثارة، فربما أجد متعة، على الأقل،

في مراقبة شخص آخر وهو يقوم بعلاقة حبّ. فمن المحزن أن يهبط الإنسان إلى هذا الدرك».

«إذاً، إنك تشعر باليأس لأنك فقدت الأمل بنفسك؟»

«والغيرة أيضاً! يجب أن تشفقي عليّ».

«إنك رجل في غاية الذكاء. لا أبالي بأن أشفق عليك، لكن لا أقبل أن أضحّي بنفسي من أجل متعتك!»

«إنها ليست تضحية كبيرة - ألا تحصلين على متعتك من ذلك؟ وألن تتجاوز متعتك متعتي؟ إن رجلاً في حالتي جدير بالرثاء حقاً».

«حذار، وإلا صفعتك مرة أخرى».

«أرجو ألاّ يحاول أحدنا خداع الآخر. بالطبع ليس من الضروري أن يكون هاروهيسا. فقد يكون أماري أو أي شاب آخر».

«في كل مرة نأتي إلى العريشة، تتكلم بهذه الطريقة. هيا إنهِ تمرينك - يجب أن تنظف رأسك أيضاً. انظر! الآنسة ساساكي تراقبنا من الشرفة».

لم يكن الدرب واسعاً ليتسع لشخصين يسيران جنباً إلى جنب، وهو يزداد ضيقاً بعد مسافة قليلة بسبب كثافة شجيرات باغي.

«تمسّك بي، لكي لا تعلق بك أوراق الشجر».

«يجب أن نشبك أيدينا».

«هذا سخيف، إنك أيضاً قصير جداً». ساتسوكو، التي كانت على يساري، استدارت فجأة إلى الجانب الآخر، وقالت: «أعرني عكازك. هيا، امسكه بيدك اليمنى». عندما قالت ذلك، دفعت كتفها نحوي، وأخذت عكازي، وراحت تبعد أوراق باغي...

# ٦ آب (أغسطس)
## (تابع)

«إني أتساءل ما هي حقيقة مشاعر جوكيشي تجاهك هذه الأيام».

«أريد أن أعرف! ما رأيك يا أبتي؟»

«لا أعرف. أحاول ألا أفكّر كثيراً في جوكيشي».

«وأنا كذلك، حتى لو سألته، فإنه ينزعج ولا يقول لي الحقيقة، لكني متأكّدة من أنه لم يعد يحبّني».

«ماذا تظنين أنه سيفعل إن عرف أن لديك عشيقاً؟»

«قال إنني يجب ألا أقلق - فإذا وجدت شخصاً آخر، لا توجد باليد حيلة... كان يبدو آنذاك أنه يمزح، لكني أظن أنه جادّ في ما يقوله».

«إنه مغرور بنفسه. فأيّ رجل يقول ذلك لزوجته إذا قالت له إنها قد تحبّ رجلاً آخر».

«يبدو أن لديه صديقة، امرأة لها ماض مثلي، كانت تعمل في كباريه. قلت له إني سأمنحه الطلاق إذا سمح لي أن أرى كيسوكي، لكنه يقول إنه لا يريد - لأنه سيشعر بالأسى على كيسوكي، لكن انزعاجه من أجلك سيكون أكبر بكثير».

«إنه يسخر مني».

«إذاً فهو يعرف كلّ شيء عنك يا أبتي! فأنا لم أقل له شيئاً».

«حسناً، فهو ابني في جميع الأحوال».

«إنه أسلوب إظهار إخلاصه لك بهذه الطريقة مضحك».

«في الواقع، إنه لا يزال متعلقاً بك. إنه يستخدمني ذريعة».

في الواقع فأنا لا أعرف الكثير عن جوكيشي، ابني ووريثي. وأخال أنه لا يوجد آباء كثيرون لا يعرفون شيئاً عن أبنائهم الذين يحبونهم. فأنا أعرف أنه تخرّج من الجامعة، وحاز على إجازة في الاقتصاد من جامعة طوكيو، ويعمل حالياً في شركة «صناعات المحيط الهادي للبلاستيك»، لكن لا توجد لديّ فكرة واضحة تماماً عن العمل الذي يقوم به. وأعرف أن شركته تشتري الراتنج الصناعي من شركة ميتسوي للمواد الكيماوية أو من مكان آخر، وتقوم بتصنيع أشياء من قبيل الأفلام الفوتوغرافية والبولي إثيلين، وتصبّ مواد بلاستيكية كالدلاء وعبوات المايونيز. ويقع المصنع بالقرب من كاواساكي، أما المكتب الرئيسي فيقع وسط مدينة طوكيو، في نيهومباشي، ويشغل فيها جوكيشي منصباً في قسم الأعمال التجارية. ويقال إنه قد يصبح مدير القسم قريباً، لكني لا أعرف كم يقبض. ومع أنه سيكون وريثي، فأنا لا أزال أقوم على رأس عائلة أوتسوغي. يبدو أنه يتحمّل جزءاً من نفقاتنا المنزلية، لكننا لا نزال نعتمد بشكل رئيسي على دخلي من العقارات وعائدات البورصة.

منذ بضع سنوات، بدأت زوجتي تهتم بالحسابات المنزلية الشهرية، ومنذ ذلك الحين، أصبحت ساتسوكو في موقع المسؤولية. وحسب ما تقوله زوجتي، فهي تجيد حساب الأرقام بطريقة مدهشة، وتدقيق فواتير التجار. وفي غالب الأحيان، كانت تدخل إلى المطبخ وتتفحص الثلاجة - وكانت الخادمات يرتعشن لدى سماع اسمها. ولمّا كانت مولعة بالأشياء الجديدة، فقد اشترت السنة الماضية سلة للقمامة، لكنها تأسف على ذلك الآن. وسمعتها ذات مرة توبّخ

أوزتسو بعبارات لاذعة لأنها ألقت حبة بطاطا حلوة في القمامة، لأنها في رأي ساتسوكو «قد تكون لا تزال صالحة للأكل».

«لو كانت قد فسدت، ألم يكن من الأفضل أن تقدميها للكلب»، سألتها بازدراء، وأضافت، «يبدو أنكم جميعاً تسعدون برمي كل شيء. ولو كنت أعرف ذلك لما اشتريتها».

تقول زوجتي إن ساتسوكو تطلب من الخادمات أن يخفضن النفقات قدر الإمكان، ثم تضع ما تدّخره في جيبها. إنها تقتّر على الآخرين جميعاً، ومع ذلك فهي تشتري الكماليات الشخصية بكلّ أنواعها.

وفي بعض الأحيان، كانت تطلب من أوزتسو حساب الأرقام على المعداد، مع أنها كانت تفعل ذلك بنفسها عادة، وتدقق الحسابات مع المحاسب المسؤول عن ضرائبنا. وعلى الرغم من أن ساتسوكو منهمكة بمسؤولياتها العائلية المختلفة، فهي تقوم بجميع المهام الإضافية في البيت، وتنجزها بسرعة. أخال أن جوكيشي سعيد جداً بقدراتها، وهي تشغل حالياً مكانة مرموقة في عائلة أوتسوغي، لذلك لم يعد بوسع جوكيشي الاستغناء عنها أيضاً.

عندما عارضت زوجتي زواجهما، قال لها جوكيشي: «تقولين ذلك لأن ساتسوكو كانت تعمل راقصة، لكني واثق من أنها ستدير أمور البيت بشكل جيد. وبوسعي القول إنها تستطيع عمل ذلك». لكن لا بدّ أنه قال ذلك من دون أن يكون متأكداً، لأنه لا يملك هذه البصيرة، ولأنها بدأت تبدي هذه القدرات بعد زواجه منه ومجيئها إلى البيت. وحتى ذلك الحين، لعل ساتسوكو نفسها لم تكن تدرك ذلك.

في البداية، على الرغم من موافقتي على زواجهما، لم أكن أظن أن زواجهما سيدوم طويلاً. فقد كنت أشعر دائماً بأن جوكيشي يشبهني في ضعفه أمام النساء - ومتقلّب مثلي - كما كنت في شبابي. أما الآن، فلم يعد الأمر يبدو بهذه البساطة. يبدو أنه لم يعد مفتوناً بها كما كان عندما تزوجا، لكنها أصبحت الآن أجمل وأروع في نظري. فقد مضى على وجودها في بيتنا حوالى عشر سنوات، وهي تزداد جمالاً سنة بعد سنة، بل إنها ازدادت جمالاً بعد أن أنجبت كيسوكي. ولم تعد تتصرف بذلك الأسلوب السوقيّ مثل راقصة في كباريه. وعندما نكون وحدنا أنا وهي، كانت تتعمد أحياناً العودة إلى ذلك الأسلوب. ولعلها كانت تتبع الأسلوب نفسه مع جوكيشي عندما يكونا معاً، مع أنها لم تعد تتصرف معه بهذه الطريقة هذه الأيام. ويخيّل إليّ أن ابني يقدّرها كثيراً لقدرتها على تدبير الأمور المنزلية، ويخشى أن يفقدها. وعندما تلعب ساتسوكو دور الفتاة البريئة، يبدو أن لديها جميع مؤهلات وخصائص الزوجة النموذجية. إذ إن طريقة كلامها وحركاتها تشي بالحيوية والنشاط، وهي حادة الذكاء، وفيها دفء وسحر، وتعرف كيف تتعاطى مع الناس وتنسجم معهم. لا ريب أنها بطريقتها هذه تثير إعجاب الجميع، مما يجعل جوكيشي يشعر بالزهو في سريرته، لذلك لا أظن أنه يريد أن يتركها. وحتى عندما تتصرف بطريقة غير لائقة، فقد يتظاهر بأنه لم يلاحظ ذلك، ما دامت تفعل ذلك بمهارة.

## ٧ آب (أغسطس)

ليلة البارحة عاد جوكيشي إلى البيت من أوساكا. وسيغادر إلى كارويزاوا هذا الصباح.

## ٨ آب (أغسطس)

من الساعة الواحدة حتى الثانية عصراً، أخذت قيلولة، ثم بقيت في السرير بانتظار الدكتور سوزوكي. في هذه الأثناء، سمعت طرقاً على باب الحمّام، وصوت ساتسوكو تنادي.

«أبتي، سأقفل هذا».

«إنه سيأتي، أليس كذلك؟»

«نعم». مدّت رأسها بسرعة، لكنها صفقت الباب على الفور وأقفلته من الداخل. ومع أنني لمحتها بسرعة، فقد لاحظت وجود نظرة باردة متجهّمة على وجهها. لا بد أنها كانت تستحمّ، لأن قطرات الماء كانت تسيل من قبعة رأسها الفينيل.

## ٩ آب (أغسطس)

لن يأتي الدكتور سوزوكي اليوم، لكني لم أتمكن من مقاومة الرغبة في البقاء في غرفة النوم بعد قيلولتي. للمرة الثانية سمعت طرقاً، وصوت ساتسوكو.

«سأقفل هذا».

فعلت ذلك بعد نصف ساعة من التوقيت نفسه البارحة، ولم

تنظر إليّ. بعد الساعة الثالثة بقليل، حاولتُ أن أحرك مقبض الباب. كان لا يزال مقفلاً. في الساعة الخامسة، عندما كنت تحت جهاز الشدّ، سمعت هاروهيسا يصيح لدى مروره من أمام غرفتي.

«شكراً مرة أخرى يا عمي! سأستعمل ذلك كلّ يوم».

لسوء الحظ لم أتمكن من رؤية تعابير وجهه عندما قال ذلك.

في الساعة السادسة، عندما خرجت للتريض في الحديقة، سألت الآنسة ساساكي هل كانت ساتسوكو هنا.

فقالت: «أظن أني سمعت هاروهيسا يغادر منذ قليل يا سيدي»، وذهبت لتسأل أوزتسو، وعندما عادت، قالت: «يبدو أن السيدة أوتسوغي قد خرجت».

## ١٠ آب (أغسطس)

أخذت قيلولتي من الساعة الواحدة حتى الساعة الثانية عصراً. ثمّ تكرر ما حدث أول البارحة.

## ١١ آب (أغسطس)

لا يوجد علاج بالوخز بالإبر اليوم. لكن الأمور اليوم تختلف عما كانت عليه قبل أيام.

فبدلاً من أن تقول: «سأقفله»، مدّت ساتسوكو رأسها من الباب، وقالت: «الباب مفتوح». بدت مشرقة ومبتهجة. سمعت صوت طرطشة الماء المنبعث من الدش.

«ألا تنتظرينه؟»

«لا، تعال».

نفذت ما طلبته مني. كانت متوارية وراء ستارة الحمّام.

«اليوم يمكنك أن تقبّلني». توقّف الدش، ثم ظهرت ساق من بين الستارة.

«يبدو أنكِ تريدين أن أفحصكِ مرة أخرى».

«صحيح، لكن لا شيء فوق الركبة، ألم أوقف الدش من أجلك؟»

«كمكافأة؟ ألستِ بخيلة قليلاً؟»

«إذا لم يعجبك ذلك، يمكنك أن تخرج، فأنا لم أجبرك»، ثمّ أضافت: «سأسمح لك اليوم أن تستخدم لسانك أيضاً».

جثوت كما فعلت في الثامن والعشرين من تموز (يوليو)، وألصقت شفتيَّ فوق ربلة ساقها، ورحت ألحسها وأتذوّق طعم لحمها بلساني ببطء. كان طعمها يشبه طعم قبلة حقيقية، وواصل فمي رحلة الهبوط حتى وصل إلى كعب قدمها. وقد دهشت لأنها لم تنبس بكلمة واحدة، بل تركتني أفعل كما يحلو لي. ثمّ وصل لساني إلى مشط قدمها، ثمّ انتقل إلى رأس إصبع قدمها الكبيرة. وبينما كنت لا أزال جاثياً، حشرتُ أصابع قدمها الثلاث الأولى في فمي، وضغطتُ بشفتيَّ على باطن قدمها المبللة، وبدت قدمها مغريةً كأنها وجه.

«كفى».

وفجأة، انطلق الدش ثانية، وبدأت قطرات الماء تتدفق على رأسي ووجهي وعلى تلك القدم الرائع...

في الساعة الخامسة، أبلغتني الآنسة ساساكي بأنه حان وقت الشدّ، وصاحت، «يا إلهي، إن عينيك حمراوان».

في السنوات الأخيرة، أصبح بياض عينيَّ يبدو محتقناً بالدم، وفي أحسن الأحوال، كانت تكسوه مسحة وردية اللون. وإذا دققت جيداً، تستطيع أن ترى عدداً كبيراً من الأوعية الدموية الحمراء الصغيرة جداً تحت القرنية. وفي أحد الأيام، فحص الطبيب عينيّ ليتأكد من عدم وجود خطر حدوث نزيف، وقال لي إن هذا النزف ليس خطيراً، وإن هذه الحالة طبيعية لشخص في عمري. وعندما تكون عيناي محتقنتين، فإن نبضي يزداد بسرعة ويرتفع ضغط دمي أيضاً.

فحصت الآنسة ساساكي نبضي في الحال، وقالت: «إنه يتجاوز الـ ٩٠»، ثم أضافت، «هل حدث معك شيء؟»

«لا، لم يحدث شيء خاص».

«دعني أقيس ضغط دمك».

أصرّت على أن أستلقي على الأريكة في غرفة مكتبي. بعد أن استرحت حوالى عشر دقائق، ربطت أنبوباً مطاطياً حول ذراعي اليمنى. لم أتمكن من القراءة على المقياس، لكن كان من السهل أن أخمّن من النظرة التي ارتسمت على وجهها.

«ألا تشعر بدوار؟»

«لا. هل هو مرتفع؟»

«إنه حوالى ٢٠٠».

عندما تقول ذلك، يكون عادة أعلى - ربما أعلى بعشر درجات أو عشرين درجة. ومع ذلك، فإن القراءات ضمن هذا المدى لا

يقلقني بقدر ما يقلق الطبيب، لأنه يصل في بعض الحالات إلى ٢٤٥. لقد استسلمت للحقيقة بأن أجلي قد يأتي في أيّ لحظة.

«كان هذا الصباح طبيعياً جداً، ١٤٥ على ٨٣ - أتساءل لماذا ارتفع هكذا. لا أستطيع أن أفهم السبب. هل أجهدت نفسك وأنت تتغوط؟»

«لا، لا».

«ألم يحدث شيء؟ من غير المعقول». هزّت الآنسة ساساكي رأسها بارتياب.

لم أقل شيئاً، بالرغم من أنني أعرف السبب تماماً. فلا يزال الإحساس بباطن قدم ساتسوكو على شفتي باقياً، ولا يمكنني نسيانه حتى لو حاولت ذلك. ويمكنني القول إنني عندما حشرت أصابع قدمها في فمي، ارتفع ضغط دمي وبلغ ذروته. ولا بد أن وجهي أصبح ملتهباً وتدفق الدم إلى رأسي، وأحسست بأنني قد أموت من سكتة دماغية في تلك اللحظة. أن أموت! بالرغم من أنني كنت أتهيأ للموت منذ أمد بعيد، كانت فكرة «الموت» تثير فزعي. قلت لنفسي إني يجب أن أهدّئ من روعي، وألاّ أدع نفسي تنجرف نحو الاستثارة، مع أنني لم أتوقف عن لعق قدمها بطريقة عمياء. لم أتمكن من التوقف. لا، فكلما حاولت أن أتوقف، رحت ألعقها بقوة وعلى نحو مسعور، وكان يخيّل إليّ دائماً بأنني أحتضر. كانت موجات من الرعب والإثارة، والمتعة تتدفق في داخلي. واعتراني ألم شديد في صدري كأن نوبة قلبية ستصيبني في تلك اللحظة... بالرغم من أنه مضت ساعتان على ذلك، لكن من الواضح أن ضغط دمي ظل مرتفعاً.

«لماذا لا تتوقف عن الشدّ اليوم؟» اقترحت الآنسة ساساكي، «أظن أنك يجب أن ترتاح». وأصرّت على مرافقتي إلى غرفة النوم، ومساعدتي على الاستلقاء.

في الساعة التاسعة مساء، جاءت الآنسة ساساكي ثانية تحمل جهاز ضغط الدم.

«أريد أن أقيسه مرة أخرى».

من حسن الحظ أنه عاد إلى وضعه الطبيعي: الانقباضي: ١٥٠، والانبساطي ٨٧.

وقالت: «هذا أفضل. لقد أرحتني، فقد كان ٢٢٣ و١٥٠».

«أظن أن ذلك يحدث بين الحين والآخر».

«إنه مرتفع جداً، حتى لو كان ذلك يحدث بين الحين والآخر! لكن بالطبع لم يدم طويلاً».

لم تكن الآنسة ساساكي الوحيدة القلقة.

في سريرتي، أطلقت تنهيدة عميقة تشي بالارتياح، ومع ذلك ظلت الفكرة تطوف في رأسي بأنني، حسب حدوث الأشياء، يجب أن أحافظ على هذا السلوك المجنون. قلما يكون هذا النوع من الأفلام الإيروتيكية المرعبة التي تحب ساتسوكو مشاهدتها في السينما أو في التلفزيون، لكنني لا أستطيع أن أمنع نفسي، على الأقل، من هذه المغامرة، حتى لو أدى ذلك إلى موتي.

## ١٢ آب (أغسطس)

بعد الساعة الثانية بعد الظهر بقليل، جاء هاروهيسا، الذي يبدو

أنه مكث ساعتين أو ثلاث ساعات. وبعد أن تناولت ساتسوكو طعام العشاء، خرجت. قالت إنها ترغب في الذهاب لمشاهدة مارتن لا سال في فيلم «النشّال» الذي يعرض في وسط المدينة، ثم ستذهب لتسبح في فندق الأمير. يمكنني تخيّلها وهي ترتدي ثوب السباحة المفتوح عند الصدر، بكتفيها البيضاوين العاريتين، وظهرها الذي يلمع تحت أشعة الأضواء الكاشفة.

## ١٣ آب (أغسطس)

مرة أخرى اليوم، في الساعة الثالثة عصراً تقريباً، جرت قصة إثارتي الإيروتيكية الصغيرة. لكن اليوم لم تحمرّ عيناي. وكان ضغط دمي طبيعياً أيضاً. قليل من الانزعاج؛ لا بد أنني أفتقد إلى شيء ما إذا لم تحتقن عيناي وارتفع ضغط دمي إلى ٢٠٠ درجة.

## ١٤ آب (أغسطس)

هذه الليلة، عاد جوكيشي وحده إلى البيت من كارويزاوا، وقال إنه سيعود إلى العمل غداً (الاثنين).

## ١٦ آب (أغسطس)

البارحة، ذهبت ساتسوكو إلى هایاما لتمارس السباحة. قالت لي إنها لم تذهب إلى الشاطئ طوال الصيف، لأنها كانت ترعاني، وإنها

تريد أن تعرّض بشرتها للشمس. وبما أن بشرة ساتسوكو بيضاء، فقد تسعفها الشمس بسرعة. اليوم، أصبح لون عنقها وصدرها قرمزياً في شكل V، أما الأماكن التي كان يكسوها ثوب السباحة، فقد ظلت بيضاء على نحو لا يمكن تصديقه. لا شكّ أنها دعتني إلى الحمّام لتريني التباين بين اللونين.

## ١٧ آب (أغسطس)

يبدو أن هاروهيسا قد جاء اليوم ثانية.

## ١٨ آب (أغسطس)

قصة إيروتيكية مثيرة أخرى، لكنها مختلفة قليلاً عن القصص السابقة: فقد دخلت اليوم منتعلة صندلاً عالي الكعب، وظلت تنتعله وهي تستحمّ.

«لماذا تنتعلين هذه الأشياء؟»

«في جميع عروض الفتيات العاريات، تخرج الفتيات منتعلات صنادل كهذه. ألا يعجبك، بما أنك مهووس بقدميّ؟»

لم يكن ذلك سيئاً، لكن حدث شيء آخر بعد ذلك.

«أعدك بأن أسمح لك بقليل من المعانقة اليوم، يا أبتي؟»

«ما هي المعانقة؟»

«ألا تعرف؟ ما فعلته منذ بضعة أيام».

«التقبيل على الرقبة؟»

«طبعاً! إنها نوع من المداعبة».

«يجب أن تفسري لي ذلك أيضاً».

«إن العجائز مزعجون حقاً! فهي تعني مداعبة وملاعبة شخص في جسده؛ وهناك «المداعبة الثقيلة» - أظن أنني أستطيع أن أعلّمك أشياء كثيرة».

«إذاً ستدعيني أقبّل عنقك؟»

«إذا أبديت امتناناً».

«لا يمكنني أن أكون أكثر امتناناً. لكن لماذا أنا محظوظ جداً؟ أشعر بالقلق من عواقب ذلك».

«يمكنك اعتبار الأمر بهذه الطريقة! فقط لا تنس ذلك».

«حسناً، ما هي؟»

«آه، هيا امض بالمعانقة أولاً».

كان الإغراء شديداً، ولأكثر من عشرين دقيقة، انهمكت في ما يسمى «المعانقة».

«الآن لقد منحتك ما تريد! لا تستطيع أن ترفض لي طلباً بعد ذلك».

«ماذا تطلبين؟»

«تمالك أعصابك، لا داعي للذعر».

«ماذا بحق السماء؟»

«هناك شيء أريد أن أحصل عليه».

«حسناً، ما هو؟»

«عين الهر».

«عين الهر؟ أتقصدين ياقوتة؟»

«هذا صحيح. لكن ياقوتة صغيرة لن تنفع - أريد خاتماً مرصعاً بحجرة كبيرة، من ذلك النوع الذي يضعه الرجال. لقد رأيت واحداً في صالة في فندق إمبريال. إنها الياقوتة التي ملأت قلبي».

«كم ثمنها؟»

«ثلاثة ملايين ينّ».

«كم؟»

«ثلاثة ملايين ينّ».

«لا بد أنكِ تمزحين».

«لا، إني لا أمزح».

«إنه مبلغ كبير لا يمكنني الحصول عليه».

«أعرف جيداً أنك تملك هذا المبلغ. يمكنك إعطائي هذا المبلغ بسهولة. لذلك، قلت لهم إنه أعجبني، وإنني سأعود لشرائه بعد أيام قليلة».

«لم أكن أدرك أن المعانقة باهظة الثمن إلى هذه الدرجة».

«لكن ليس اليوم فقط - يمكنك أن تعانقني من الآن فصاعداً، في أي وقت تشاء».

«لكنها تظل مجرد معانقة. إذاً سيكون ثمن قبلة حقيقية مبلغاً باهظاً».

«ماذا تقول! لقد قلت إنك لا يمكن أن تكون أكثر امتناناً».

«لكن هذا أمر خطير. ماذا سنفعل لو رأته زوجتي؟»

«هل تظن أني سأدع ذلك يحدث؟»

«في جميع الأحوال، لا أملك هذا المبلغ. إنك تعاملين هذا الرجل العجوز بقسوة شديدة».

«ومع ذلك، فإنك تبدو سعيداً».

أظن أنني كنت أبدو سعيداً...

## ١٩ آب (أغسطس)

يقولون إن إعصاراً سيهبّ قريباً. ربما لهذا السبب اشتد الألم في يدي، وبدأت أعاني من مشاكل أخرى. إن دواء الدولوسين الذي اشترته لي ساتسوكو، والذي أتناوله ثلاث مرات يومياً، ثلاثة أقراص في كلّ مرة، لا يخفف الكثير من الألم. وبما أني أتناوله عن طريق الفم، فإني أفضّله على نوبولون. لكن ما يزعجني هو أنه، مثل الأسبيرين، يجعلني أتعرّق كثيراً.

عند الظهيرة، اتصل الدكتور سوزوكي وقال إنه يريد أن يلغي الموعد بيننا لاحتمال هبوب الإعصار، فقلت له لا مانع لديّ، وتوجهت إلى غرفة مكتبي، وبعد ذلك مباشرة، دخلت ساتسوكو.

قالت: «لقد أتيت لتحقق ما وعدتني به، ثم سأذهب إلى المصرف، ثم إلى الفندق مباشرة».

«سيهبّ إعصار قريباً، كما تعرفين. لماذا تريدين الذهاب في وقت كهذا؟»

«لن أنتظر حتى تغيّر رأيك - أريد أن أرى الياقوتة في إصبعي في أقرب وقت».

«بما أنني وعدتك به، فلن أتراجع عن كلمتي».

«غداً يوم السبت، فإذا تأخرت في النوم لن أصل إلى البنك في الوقت المناسب. يقولون لا تؤجل شيئاً».

كنت أريد أن أنفق النقود على شيء آخر.

أثناء طفولتي - لا أستطيع أن أتذكّر السنة بدقة - غادرنا البيت في هونجو حيث عاشت عائلتنا لعدة أجيال إلى نيهومباشي وسط مدينة طوكيو. بعد الزلزال الكبير في عام ١٩٢٣، انتقلنا إلى بيتنا الحالي في حيّ ماميانا في أزابو، الذي بناه أبي، لكنه مات في عام ١٩٢٥، وهو لا يزال في أوائل الأربعينات من عمره، ثم ماتت أمّي بعد بضع سنوات، في عام ١٩٢٨. قلت إن أبي هو الذي بنى بيتنا في أزابو، لكن كان يوجد قصر قديم في الموقع (يعتقد أنه كان قصر رجل الدولة هاسيبا سوتنيتاكا في عهد ميجي). وترك جزءاً منه على حاله وأعاد بناء ما تبقى. كان أبي قد أحيل إلى التقاعد في ذلك الوقت، وأقام والدايَّ بهدوء في الجناح القديم، لأنهما كان يحبّان الهدوء والطمأنينة فيه.

كان علينا أن نعيد بناء البيت بعد أن لحقت به أضرار أثناء الحرب، لكن الجزء القديم منه نجا بأعجوبة من الحريق. وقد أصبح البيت الآن في حالة يرثى لها، وأردت أن أهدمه وأشيّد مكانه جناحاً حديثاً على الطراز الغربي، لي ولزوجتي، لكنها لا تزال تعارض الفكرة. ودأبت على القول إننا يجب ألاّ نهدم البيت الذي أمضى فيه أبي وأمّي سنوات عمرهما الأخيرة، وأننا يجب أن نحتفظ به بقدر ما بوسعنا. ولمّا كانت تقول ذلك على الدوام، فقد قرّرت أن أرغمها على الموافقة وأن أدعو عمّال التهديم.

كان بيتنا كبيراً يكفي لإقامة جميع أفراد العائلة، لكن ليس من

المناسب أن أنفذ بعضاً من خططي. فإذا شيّدنا جناحاً جديداً لي ولزوجتي، فقد كنت أنوي أن أفصل غرفة نومي ومكتبي بقدر الإمكان عن غرفة نوم زوجتي، ويكون لها مرحاض وحمّام خاصين «لراحتها»: حمّام ياباني كامل بحوض خشبي، أما حمّامي فسيكون مبلطاً، وفيه دش.

وكانت تسأل: «ما الفائدة من إقامة حمامين في الجزء الذي نقيم فيه في البيت؟» وتضيف، «يمكنني أن أشارك أوشيزو والآنسة ساساكي بالحمّام القديم».

«يمكنك أن تحصلي على قليل من الترف، فلم يتبق لنا، في عمرنا، العديد من المتع غير متعة الاستلقاء في ماء الحوض».

كان هدفي أن تمكث زوجتي في غرفتها أطول وقت ممكن، بدلاً من أن تتجول في أرجاء البيت. أما أنا فقد كنت أريد أن أعيد تشييد البيت كله ليصبح طابقاً واحداً، لكن ساتسوكو لم تكن تريد ذلك، فضلاً عن أنني لم أكن أملك مبلغاً كافياً. فرضيت بالجناح الجديد على مضض. علماً أن الثلاثة ملايين ينّ التي طلبتها ساتسوكو، كنت سأنفقها على بنائه.

عادت ساتسوكو بسرعة. «ها قد عدت»، قالت، وكأنها جنرال منتصر.

«هل اشتريته؟»

دون أن تنبس بكلمة، مدّت يدها والخاتم في راحة كفها. من المؤكد أن مجوهرة عين الهر رائعة. وأدركت أن أحلامي ببناء جناح جديد تضاءلت وتحوّلت إلى بقعة الضوء الصغيرة القابعة على راحة يدها الناعمة.

«كم قيراط؟» وضعته على راحة يدي.

«خمسة عشر».

وعلى الفور، انبعث الألم القديم في يدي اليسرى ثانية. فأسرعت وابتلعت ثلاثة أقراص من الدولوسين. عندما رأيت النظرة الجذلة على وجه ساتسوكو، خفّ الألم الذي كاد لا يطاق. أليس أفضل من بناء جناح جديد!

## ٢٠ آب (أغسطس)

هبّت رياح شديدة وهطلت أمطار غزيرة؛ إلا أنني غادرت إلى كارويزاوا هذا الصباح كما كنت قد قررت. جاءت ساتسوكو ووصلت الآنسة ساساكي بسيارة من الدرجة الثانية. ولم تتوقف الآنسة ساساكي عن القلق بشأن الطقس، ولم تكف عن سؤالي عما إذا كنت أرغب في تأجيل الرحلة إلى الغد، لكني لم أنصت لها أنا وساتسوكو. كنا كلانا في مزاج طائش على نحو مثير للفضول، وكأنه يقول: ليهبّ الإعصار! فقد كنّا تحت تأثير سحر مجوهرة عين الهر...

## ٢٣ آب (أغسطس)

كان من المتوقع أن أذهب اليوم إلى طوكيو مع ساتسوكو، لكن زوجتي قالت إن مدرسة الأطفال ستفتح أبوابها قريباً، وقرّرتا المغادرة في الرابع والعشرين - ألا يمكنني البقاء حتى الغد، ثم نعود جميعاً معاً؟ لقد بدّد ذلك آمالي بالسفر وحدي مع ساتسوكو.

## ٢٥ آب (أغسطس)

كان من المفترض أن أبدأ عملية الشدّ مرة أخرى هذا الصباح، لكني قرّرت التوقف عن القيام بذلك لأني لم أجد أي فائدة ترجى منها. أظن أني سأتوقف عن العلاج بالوخز بالإبر أيضاً في نهاية الشهر. ذهبت ساتسوكو فجأة هذا المساء إلى نادي كوراكوين الرياضي.

## ١ أيلول (سبتمبر)

الطقس جميل اليوم، على الرغم من أنه من المفترض أن يهبّ إعصار حسب التقويم. سيعود جوكيشي إلى فوكوكا ليقيم فيها بقية أيام الأسبوع.

## ٣ أيلول (سبتمبر)

بدا الطقس اليوم كأن فصل الخريف قد حلّ فعلاً. فبعد أن هطلت أمطار في الليلة الماضية، أصبحت السماء صافية جميلة. ورتّبت ساتسوكو الأزهار البرية الخريفية السبع في البهو، ووضعت سوق الدخن الطويلة ونبات عرف الديك في غرفة مكتبي. وبينما كانت تفعل ذلك، غيّرت اللفيفة المعلّقة، وعلّقت مكانها لفيفة أخرى كتبت عليها قصيدة من الشعر الصيني للشاعر ناغاي كافو.

منذ سبعة فصول شتوية أعيش في وادي أزابو.
الصقيع يتشكل ببطء، الشجرة القديمة تحمي القاعة الغربية.
ضاحكاً، أحدد لنفسي المهام التي سأقوم بها طوال الأسبوع،
أكنس أوراق الأشجار، وأهوّي كتبي، ثم أهوّي ثيابي الشتوية.

كان كافو دائماً من الروائيين الأثيرين لديّ، مع أن خطّه الجميل وقصائده بالصينية تثير في نفسي رغبات قوية. كنت قد اشتريت هذه اللفيفة منذ سنوات من أحد التجار، وقد لا تكون أصلية لأن البعض يقولون إنه توجد نسخ مزورة بإتقان كبير لبعض أعماله. فقد احترق البيت الخشبي الغربي الطراز الذي كان يقيم فيه.

## ٤ أيلول (سبتمبر)

قبيل فجر هذا الصباح - أظن أن الساعة كانت تقارب الخامسة صباحاً عندما سمعت صرصار الليل يزقزق في مكان ما. كان صوتاً خافتاً، وكنت نصف نائم، وكنت أسمعه بوضوح شديد. لقد حلّ الموسم الذي يظهر فيه صرصار الليل، لكن من الغريب أنني سمعته من غرفة نومي. وعلى الرغم من أن صرصار الليل يظهر في حديقة بيتنا بين الحين والآخر، فلم أكن أسمع صوته عندما أكون مستلقياً على السرير. تساءلت هل سرّبه أحد إلى غرفتي.

لقد ذكّرني ذلك بطفولتي. فقد كنّا نعيش في هونجو. كنت في حوالى الخامسة أو السادسة من عمري، وكنت عندما أستلقي في السرير بين ذراعيّ مربيتي، كان صرصار الليل يزقزق في الخارج.

ربما كان مختبأً تحت إحدى الدرجات الحجرية في الحديقة، أو تحت الشرفة. كان صوته حاداً. ولم تكن تتجمع أعداد كبيرة منه. لكن صوت هذه الحشرة كان ثاقباً. وعندما كانت مربيتي تسمع صوته، تقول: «اسمع يا توكوسوكي، لقد حلّ فصل الخريف، وها قد جاء صرصار الليل»؛ ثمّ تقلّد لي صوته بطريقة سخيفة، «أليس كذلك؟ عندما تسمع صوته، يكون قد حلّ الخريف».

لعلني كنت أتخيّل ذلك، لكنها عندما كانت تقول ذلك، كانت تعتريني رعدة تتسلل من أكمام الكيمونو القطني الليلي الأبيض. ومع أنني كنت أكره ارتداء كيمونو منشّى، كان للكيمونو الذي أرتديه ليلاً رائحة النشاء الحلوة الحامضة المميزة. وظلت تلك الرائحة وزقزقة صرصار الليل وبرودة الصباح الخريفي تعشش في رأسي كذاكرة مشوّشة بعيدة. حتى الآن، بعد أن بلغت السابعة والسبعين من العمر، كان سماع صوت صرصار الليل عند الفجر، ينعش تلك الذاكرة القديمة برائحة النشاء ويؤججها، وبالطريقة التي كانت تحدثني فيها مربيتي، وملمس الكيمونو الليلي المتيبّس على جلدي. نصف حالم، أشعر كأنني لا أزال أعيش في بيتنا في هونجو، ولا أزال أرقد في السرير بين ذراعيْ مربيتي.

في هذا الصباح، بعد أن ازداد عقلي صفاء، أدركت أنني أسمعه في هذه الغرفة المألوفة، حيث ينتصب سريري إلى جانب سرير المربية ساساكي. ومع ذلك، كان ذلك غريباً. فنادراً ما يتسلل صرصار الليل إلى غرفتي، وليس من المحتمل أن أسمع صوت الصرصار من الخارج، خاصة أن جميع الأبواب والنوافذ مغلقة. لكن بالرغم من ذلك، كنت أسمع الصوت بوضوح. أصخت السمع.

حاولت أن أنصت بدقة أكثر. بالطبع، هذا ما سمعته.

كنت أسمع صوت أنفاسي. كان الهواء جافاً هذا الصباح، وكانت حنجرتي جافة، وبدا أنني سأصاب بالانفلونزا. لذلك، كانت كلّ شهقة أو زفرة تنبعث مني تشبه صوت زقزقة صرصار الليل. لم أكن متأكّداً هل كان الصوت ينبعث من حنجرتي أو من مؤخرة أنفي، لكن من الواضح، كان الصوت ينبعث عندما يمرّ نَفَسي في نقطة معينة في تلك المنطقة. كان يبدو كأن صوت الزقزقة آتٍ من خارج جسمي - لم أصدّق أنني أنا مصدر الصوت الذي يشبه صوت الصرصار الليلي. ومع أنني كنت أتعمّد الشهيق والزفير، لم يكن ثمة خطأ في ذلك. رحت أكرر ذلك عدة مرات، وكنت كلما تنفستُ بقوة أكبر، ارتفع صوتي، وكأنني أصفّر في صافرة.

«هل أنت مستيقظ، يا سيدي؟» سألتني الآنسة ساساكي، وقد انتصبت في جلستها في السرير.

«اسمعي، هل تعرفين هذا الصوت؟» وأصدرت صوت الزقزقة ثانية.

«إنه صوت تنفّسك يا سيدي».

«آه؟ هل سمعته من قبل؟»

«طبعاً. إني أسمعه صباح كلّ يوم».

«هل تقصدين أن هذا الصوت ينبعث مني صباح كلّ يوم؟»

«ألم تكن تعرف أنك تصدر مثل هذا الصوت؟»

«لعلي بدأت أسمعه في الصباح في الأيام الأخيرة. يبدو أنني كنت ثملاً عندما خيّل إليّ أنه صوت زقزقة صرصار الليل».

«إنه ليس صوت صرصار الليل، إنه ينبعث من حنجرتك يا

سيدي. لا يوجد شيء غريب في هذا. فعندما يتقدم المرء في العمر، تجفّ حنجرته وربما يصدر صفيراً عندما يتنفّس. إن العجائز يفعلون ذلك في معظم الأحيان».

«إذاً كنتِ تعرفين ذلك منذ فترة؟»

«نعم، فأنا أسمعه صباح كلّ يوم منذ مدة - صوت خفيف واطئ يشبه الزقزقة».

«أريد أن أفعل ذلك لزوجتي».

«إنها تعرف ذلك».

«ربما»، قالت ساساكي ضاحكة، «إني واثقة من أنها تسمعه أيضاً».

## ٥ أيلول (سبتمبر)

في صباح اليوم الباكر، حلمت بأمّي. لم يكن ذلك أمراً معتاداً بالنسبة لي. لعلني حلمت بها لأنني تذكرت صرصار الليل ومربيتي العجوز فجر البارحة. فقد ظهرت أمّي في الحلم في هيئة فتاة صغيرة وجميلة جداً، بقدر ما يمكنني أن أتذكّرها. لم أكن واثقاً تماماً أين كنّا، لكن لا بدّ أننا كنا في بيتنا في هونجو. كانت أمي ترتدي معطفاً حريرياً أسود من قماش الكريب فوق كيمونو رمادي موشى بأشكال ورسوم متعددة، من ذلك النوع من الثياب التي كانت ترتديها دائماً عندما تذهب لزيارة أحد. لا أعرف إلى أين تنوي أن تذهب، أو حتى الغرفة التي كانت فيها آنذاك. ربما كانت جالسة في صالة الاستقبال، عندما رأيتها تُخرج غليوناً من الطراز القديم، وكيس تبغ من حزامها

وراحت تدخّن. لكن يبدو أنها سرعان ما غادرت البيت: كانت تسير لا يسترها شيء سوى صندل من القش تنتعله في قدميها. وكان شعرها مصفوفاً بأسلوب أوراق نبات الجنكة، المضمومة بخيط من خرز المرجان، ومزيّناً بدبّوس مستدير مزخرف من المرجان، ومشط من قوقعة السلحفاة مطعّماً بعرق اللؤلؤ. ومع أنه كان بوسعي رؤية تسريحتها بهذا القدر من الدقة، كان وجهها مخفياً قليلاً مثل معظم النساء في أيامها. كانت أمّي قصيرة، لا يتجاوز طولها خمسة أقدام. وأظن أن هذا يفسّر سبب رؤيتي قمة رأسها لا وجهها. ومع ذلك، عرفت أنها أمّي بلا أدنى ريب. ولسوء الحظ لم تنظر إليّ، ولم تكلّمني، ولم أحاول أن أكلّمها أنا أيضاً. ربما كنت خائفاً من أن توبّخني. وبما أنه كان لدينا أقرباء في مكان قريب، خطر لي أنها قد تكون ذاهبة لزيارتهم. رأيتها لوهلة فقط، ثمّ تلاشى المشهد واستحال إلى سحابة.

حتى بعد أن استيقظت ظل عقلي يستعيد صورة حلم أمّي. وربما يعود ذلك إلى أحد الأيام الجميلة في منتصف التسعينيات من منتصف القرن التاسع عشر، عندما كنت طفلاً، وصادف أن رأيت أمّي تغادر بيتنا وأخذت تسير في الشارع. لعل هذا الانطباع هو الذي أنعش حلمي هذا. لكن من الغريب أنها كانت لا تزال شابة - في حين كنت في السن التي أنا فيها الآن، وكنت طويل القامة بحيث كنت أنظر إليها من الأعلى. لكني شعرت بأنني كنت طفلاً، وهي أمّي. وبدا أنني كنت قد عدت إلى هونجو، في حوالى العام ١٨٩٤ أو ١٨٩٥. أظن أن هذا النوع من الأحلام هو نموذج أحلامي.

كانت أمّي تعرف حفيدها جوكيشي، وبما أنها ماتت في سنة

١٩٢٨، عندما كان جوكيشي لا يزال في الرابعة من عمره، فإنها لا تعرف الفتاة التي أصبحت زوجته. وعندما عارضت زوجتي بشدة زواجه من ساتسوكو، تساءلت كيف كان من الممكن أن تتصرف أمّي. ربما لم يكن قد تم الزواج أصلاً. لا، من البداية، فإن الارتباط بفتاة تعمل في كباريه أمر مستحيل. ولو عرفت أمّي أن هذا الزواج قد أفضى إلى افتتان ابنها بزوجة حفيدها، وأنفق ثلاثة ملايين ين ليشتري لها جوهرة عين الهر لتسمح له بقليل من المداعبة - لأغمي عليها من هول ذلك. ولو كان أبي لا يزال حياً لتبرأ مني ومن جوكيشي. وأتساءل كيف كانت ستكون ردة فعلهما لو أنهما رأيا ساتسوكو.

دأب الناس على القول إن أمّي كانت جميلة في شبابها. وإني أتذكّرها جيداً في تلك الأيام - وأذكر أنها كانت في عزّ جمالها عندما بلغت الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمرها. وعندما أقارنها في ذاكرتي بساتسوكو، فإني أجد الفرق صارخاً حقاً. إن ساتسوكو جميلة أيضاً، وهذا ما جعل جوكيشي يتزوجها. لكن بين هاتين المرأتين الجميلتين، بين التسعينيات من القرن التاسع عشر والآن، طرأ تغيير كبير في المظهر الجسدي للمرأة اليابانية. فقد كانت قدما أمّي جميلتين أيضاً، لكن لقدميّ ساتسوكو جمال مختلف. وقلما يبدو أن هاتين المرأتين تنتميان إلى الجنس نفسه. فقد كانت لأمّي قدمان رقيقتان، صغيرتان بحيث يمكنهما أن تقبعا في راحة يدي، وعندما كانت تسير منتعلة خفّيها المصنوعين من القشّ، كانت تخطو خطوات قصيرة جميلة، وكانت أصابع قدميها تلتف إلى الداخل. (تذكّرت أن قدميّ أمي في حلمي كانتا عاريتين ماعدا خفّيها، بالرغم

من أنها كانت متوجهة لزيارة أحدهم. لعلّها تعمدت أن تبدي لي قدميها). وكانت جميع النساء في عهد ميجي يمشين بهذه الطريقة التي تشبه مشية الحمامة، لا الحسناوات منهن فقط. أما قدما ساتسوكو، فقد كانتا طويلتين ورشيقتين على نحو رائع؛ وكانت تتباهى بأن الأحذية اليابانية العادية واسعة جداً على قدميها. أما قدما أمّي، فقد كانتا واسعتين قليلاً، مثل قدميّ بوديساتفا الرحيمة في سانغاتسودو في نارا. وكانت النساء في أيامها قصيرات القوام أيضاً، وكانت النساء اللاتي يقل طولهن عن خمسة أقدام الأكثر شيوعاً. وبما أنني ولدت في عهد ميجي، فقد كان طولي لا يزيد على خمسة أقدام وبوصتين تقريباً، أما ساتسوكو فكانت أطول مني ببوصة ونصف.

وكان المكياج أيضاً مختلفاً تماماً في تلك الأيام، وبسيطاً للغاية. فقد كانت النساء المتزوجات - كلّ النساء اللاتي يتجاوزن الثامنة عشرة من العمر تقريباً - يحلقن شعر حواجبهن، ويصبغن أسنانهن باللون الأسود. وفي أواخر عهد الميجي، كادت هذه العادة تختفي، لكنها استمرت حتى فترة طفولتي. وحتى الآن، فإني أتذكّر رائحة صباغ الأسنان المعدنية الغريبة. أتساءل ماذا ستقول ساتسوكو لو رأت أمّي وهي متبرّجة بهذه الطريقة. فقد كانت تجعل شعرها في تمويجات دائمة، وتضع أقراطاً، وتصبغ شفتيها بلون وردي مرجاني، أو بلون وردي لؤلؤي، أو بني بلون القهوة، وترسم حاجبيها بقلم رصاص، وتخطّ فوق جفنيها ظل عيون، وتلصق رموشاً اصطناعية؛ وكأن ذلك لا يكفي، فقد كانت تضع مجمّل رموش لتجعلها تبدو أطول. وأثناء النهار، كانت تطيل عينيها بقلم رصاص بني غامق، وفي الليل، كانت تستخدم ظل عيون ممزوج بحبر صيني. وكانت

تولي الاهتمام ذاته بأظافرها - وسأستغرق وقتاً طويلاً لأصف العملية كلها.

كم تغيّرت المرأة اليابانية خلال السنوات الستين ونيّف الأخيرة، ولا يسعني إلا أن أعجب بالفترة الطويلة التي عشتها، والتغيرات الكثيرة التي شهدتها. ولو عرفت أمّي أن ابنها توكوسوكي، المولود في سنة ١٨٨٣، يعيش اليوم وقد جذبته بطريقة مخزية امرأة مثل ساتسوكو - حفيدتها، زوجة حفيدها - وأنه يجد متعة في إثارتها له، بل حتى أنه يضحّي بزوجته لكسب ودّها! هل تستطيع أن تتخيّل الآن، بعد مرور اثنتين وثلاثين سنة على وفاتها، أن ابنها قد فقد عقله وأصبح مهووساً، وأن امرأة كهذه يمكن أن تنضمّ إلى عائلتنا؟ لا، أنا نفسي لم أكن أحلم بأن الأمور ستؤول إلى ذلك.

## ١٢ أيلول (سبتمبر)

عند الساعة الرابعة عصراً تقريباً، جاءت زوجتي وكوغاكو. لم أر كوغاكو في هذه الغرفة منذ زمن بعيد. فمنذ أن طردتها في ١٠ حزيران/يونيو، لم يعد لها علاقة بي. وعندما غادرت زوجتي وكيسوكي إلى كارويزاوا، التقت بهما في المحطة، ولم تأت إلى بيتنا. وعندما ذهبت لرؤيتهن لاحقاً، بذلت كل ما بوسعها لتتحاشاني. من الواضح أن ثمة شيئاً كان يدور في خلدها.

«شكراً لأنك تحمّلت الأطفال مرة أخرى هذا الصيف».

«ماذا تريدين؟» سألتها بفظاظة.

«لا أريد شيئاً، حقاً. . .».

«آه؟ يبدو أن الأطفال بخير».

«لقد أمضوا وقتاً رائعاً في كارويزاوا».

«ربما لأنني لا أراهم كثيراً، فقد كبروا ولم أعد أستطيع أن أميّزهم جيداً».

ثمّ دخلت زوجتي فجأة.

«بالمناسبة، لقد سمعت كوغاكو شيئاً مثيراً للاهتمام، وأردت أن أخبرك إياه أيضاً».

«صحيح؟» لقد جاءت لتزعجني، قلت في نفسي.

«ألا تتذكّر السيد يوتاني؟» قالت زوجتي.

«يوتاني الذي ذهب إلى البرازيل؟»

«إنه ابنه - الشاب الذي حضر حفل زفاف جوكيشي بدلاً من أبيه».

«كيف تتوقّعين مني أن أتذكّر ذلك؟ ماذا عنه؟»

«وأنا لا أتذكّره أيضاً، لكن كوغاكو تقول إنه صديق زوجها في العمل، وهما يزورانه هو وزوجته بين الحين والآخر».

«سألت ماذا عنه؟»

«حسناً، يبدو أن السيد والسيدة يوتاني قد جاءا يوم الأحد الماضي، وقالا إنه صادف أنهما كانا في الحيّ. لكن السيدة يوتاني امرأة ثرثارة، وتقول كوغاكو إنها لم تأت إلا لتخبرها».

«تخبرها بماذا؟»

«أظن أنه من الأفضل أن تسمع ذلك من كوغاكو».

كنت جالساً في الكرسي ذي المسند، وكانتا واقفتين، لكنهما جلستا على الأريكة قبالتي وأطلقتا تنهيدة. وهكذا أخذت كوغاكو

التي تكبر ساتسوكو بأربع سنوات، لكن يبدو أنها متوسطة العمر، تحكي القصّة انطلاقاً من تلك النقطة. وقالت إن السيدة يوتاني ثرثارة، لكن عندما يصل الأمر إلى الثرثرة، فلا تستطيع إلا أن تدلي بدلوها.

«في الخامس والعشرين من الشهر الماضي، بعد عودتنا من كارويزاوا بليلة، كانت تقام مباراة على بطولة وزن الريشة في ملعب كوراكوين، أليس كذلك؟»

«كيف لي أن أعرف شيئاً كهذا؟»

«حسناً، كانت هناك مباراة. في الليلة التي فاز فيها القزم الياباني حامل اللقب ساكارنوتو هاروو ببطولة الشرق، بضربة قاضية على القزم التايلاندي».

ثم لفظت كوغاكو اسماً طويلاً، غريباً، اسماً لا أستطيع حتى أن ألفظه بنَفَس واحد. انعقد لساني. فالشخص الذي يستطيع أن يدخل مع امرأة في حديث كهذا لا بد أنه ينتمي إلى صنف مختلف تماماً.

«في جميع الأحوال، يبدو أن السيد والسيدة يوتاني قد ذهبا في وقت مبكر من بدء المباراة. في البداية، كان الكرسيان القائمان في الصف الأمامي من الحلبة على اليمين فارغين، وقبل بدء المباراة على لقب البطولة بقليل، دخلت شابّة في غاية الأناقة، تحمل مفاتيح سيارة فاخرة بيد، وحقيبة يد باليد الأخرى، وجلست إلى جانبها. من هي تلك المرأة برأيك؟»

لم أجب.

«وقالت السيدة يوتاني إنها لم تر ساتسوكو منذ حفل الزفاف، أي منذ سبع أو ثماني سنوات، لذلك كان من الطبيعي أنها نسيت

شكل ساتسوكو، بل حتى أن لا تلاحظ شخصاً مثلها بين هذا الحشد».

«لكنني لا أستطيع أن أنساها» قالت السيدة يوتاني، «لا يستطيع أحد أن ينساها - فهي أجمل من أي وقت مضى. لكن بينما كنت أفكّر إن كان عليّ أن أكلّمها، وأسألها إن كانت هي السيدة أوتسوغي، شقّ رجل لا أعرفه طريقه بين الحشد، وجلس إلى جانب ساتسوكو على الجانب الآخر. وقالت السيدة يوتاني يبدو أنه صديقها، وبدآ يدردشان معاً، لذلك لم تتح لها الفرصة لأن تعرّفها على نفسها».

ظللت صامتاً.

«حسناً، هذا على ما يرام، أظن - على الأقل سأترك ماما تحكي لك تلك القصّة».

«من المؤكد أن هذا الأمر غير جيد!» تدخلت زوجتي ثانية.

«ماما، أرجوك إحكي له القصة بنفسك؟ فأنا لا أريد أن أفعل ذلك أيضاً. في جميع الأحوال، قالت السيدة يوتاني إن أول شيء لاحظته هي مجوهرة عين الهر تلمع في إصبع ساتسوكو. ولمّا كانت ساتسوكو تجلس إلى جانبها، فقد كان من السهل عليها أن ترى تلك المجوهرة! وقالت لا بد أن وزنها يزيد على خمسة عشر قيراطاً - وحتى لو كانت مجوهرة عين الهر، فإن المرء لا يرى كثيراً مثل هذه الجوهرة الرائعة الضخمة. لم أكن أعرف أن ساتسوكو تملك خاتماً كهذا، وتقول ماما إنها لم تره من قبل. متى تظن أنها اشترته؟»

توقّفت كوغاكو، وانتظرت أن أجيبها، ثم تابعت، «هذا يذكّرني، ألم تثر فضيحة عندما كان كيشي رئيساً للوزراء لأنه اشترى

مجوهرة عين الهر عندما كان في الهند الصينية أو في مكان آخر؟ وقالت الصحف آنذاك إن ثمنها مليونا ينّ: وعلى الرغم من أن المجوهرات ليست مرتفعة الثمن في جنوب شرق آسيا، فإن مجوهرة مثلها لا بد أنها تساوي الضعف في اليابان. وفي هذه الحالة، لا بد أن تكون ساتسوكو شخصية هامة».

«من الذي اشتراها لها برأيك؟» قالت زوجتي.

«وبما أن المجوهرة كانت في غاية الروعة، متلألئة وبراقة، لا بد أن السيدة يوتاني ظلت تحدّق بها بعينين مفتوحتين على وسعيهما. وبدا أن ساتسوكو لم تشعر بالارتياح، فأخرجت قفازين من الدانتيل من حقيبتها اليدوية وارتدتهما؛ لكن المجوهرة كانت لا تزال تلمع من وراء القفاز - فقد كان قفازاها رقيقين مصنوعين يدوياً من الدانتيل الفرنسي الأسود. لعلها تعمّدت أن ترتدي القفاز لتزيد من تأثيرها. يا إلهي، إنكِ ثاقبة النظر، قلتُ للسيدة يوتاني، لكنها قالت إن ساتسوكو كانت تجلس إلى يمينها مباشرة، والخاتم في اليد اليسرى، لذلك لم تستطع أن تبعد نظرها عنها، وتلك المجوهرة تلمع من خلال الدانتيل الأسود فلم تتمكن من مشاهدة المباراة جيداً»...

## ١٣ أيلول (سبتمبر)
### (تابع)

«قل لي، كيف حصلت ساتسوكو عليه؟» بدأت زوجتي تضغط عليّ فجأة، لكني لم أجب. ثم سألتني: «حسناً، متى اشتريته لها؟»

«هل يهم أن تعرفي متى؟»

«طبعاً يهم. أولاً من أين لك كل هذه النقود؟ علماً أنك قلت لكوغاكو إنك لا تملك نقوداً وإن لديك نفقات كثيرة».

لبثت صامتاً.

«هل هذا ما كنت تقصده بالنفقات؟»

«هذا تماماً ما كنت أقصده». في هذه اللحظة، صمتت زوجتي وغوكاغو من هول الصدمة، وأضفت، «وأود أن أقول لكما إنه توجد لديّ نقود لأعطيها لساتسوكو، ولا يوجد لديّ نقود لأعطيها لغوغاكو».

بعد أن وجهت إليهما ضربة قوية، فكّرت بعذر جيد وقلت لزوجتي: «هل تتذكّرين عندما كنت أريد أن أهدم الجناح القديم وأعيد بناؤه، وكيف أنك لم توافقي على ذلك».

«طبعاً لم أوافق. من على وجه الأرض يمكنه أن يوافقك على ذلك، عندما لا تبدي احتراماً لوالديك؟»

«حسناً، إذاً. لا بد أن والديّ يشعران بالسعادة في قبريهما عندما يعرفان إخلاص كنّتهما، لذلك ادخرت النقود لأشتريها لها».

«حتى لو فعلت ذلك، لماذا كنت شديد السخاء مع ساتسوكو؟»

«ما الخطأ في أن أشتري لها خاتماً؟ إنها ليست امرأة غريبة، فهي زوجة ابننا! سيكون والديّ فخورين بي لأنني شديد الكرم معها».

«لكن بناء جناح جديد سيكلّف أكثر. لا بد أنه لم يبق معك الكثير من النقود».

«طبعاً يوجد لديّ. لقد أنفقت جزءاً منها فقط لشراء مجوهرة عين الهر».

«حسناً، ماذا ستفعل بالباقي؟»

«سأفعل بها أي شيء يروق لي - يجب ألاّ تتدخلي في شؤوني».

«لكن ماذا تنوي أن تفعل بها؟ هذا كل ما أريد أن أسأله».

«لم أحسم أمري بعد. إنها تقول إنها تتمنى لو كان عندنا حوض سباحة، لذلك، لعل الشيء التالي الذي سأفعله هو بناء حوض سباحة. لا بد أن ذلك سيدخل السرور إلى نفسها».

لم تنبس زوجتي بكلمة. حدّقت بي بدهشة.

«لا أظن أنك تستطيع أن تقيم حوض سباحة بهذه السرعة»، قالت كوغاكو، «لقد اقترب فصل الخريف».

«يقولون إن الاسمنت يستغرق وقتاً طويلاً حتى يجف - حتى لو بدأنا العمل الآن، فإننا سنحتاج إلى أربعة أشهر. لقد درست ساتسوكو الأمر كله».

«إذاً لن ينتهي قبل الشتاء».

«لذلك لا توجد عجلة. يمكننا أن نأخذ وقتنا وننهيه في حوالى آذار أو نيسان القادم. أريد أن ينتهي في وقت أبكر، حتى أرى مدى سعادتها».

صمتت كوغاكو عندما سمعت ما قلته. ثم قلت: «ولن ترى ساتسوكو بركة صغيرة عادية بالحجم العائلي»، ثم أضفت، «إنها تريد بركة لا تقل مساحتها عن عشرين متراً بثلاثين متراً، حتى تتمكن من ممارسة رياضة باليه الماء. لقد قالت إنها تريد أن تقدم لي عرضاً منفرداً. يبدو أنني سأقيم البركة لهذا الأمر فقط».

«في جميع الأحوال، إني واثقة من أنها ستكون جيدة»، قالت كوغاكو بجفاف، وأضافت، «حتى كيسوكي الصغير سيكون سعيداً بوجودها في بيته».

«إنها ليست من النوع الذي يهتم به كيسوكي»، قالت زوجتي، وأضافت، «حتى أنها لا تساعده في واجبه المدرسي، وهو يحتاج إلى أستاذ خاص لتدريسه. وجده سيّئ كذلك - أشعر بالحزن على هذا الطفل المسكين».

«حسناً، عندما يصبح لديك حوض سباحة، سيسبح كيسوكي فيها أيضاً. أرجو أن تسمح لأطفالي أن يسبحوا فيه غالباً».

«طبعاً. كلما كان أكثر، كان أفضل». كانت ستثأر مني. وبطبيعة الحال، لا أستطيع أن أمنع كيسوكي أو أطفالها الذين يحبون السباحة من السباحة فيه؛ لكنهم سيذهبون إلى المدرسة حتى أواخر حزيران، وسأرسلهم في تموز إلى كاريوزاوا، أما المشكلة الحقيقية فهو هاروهيسا.

«وكم سيكلف حوض السباحة؟» هذا ما كنت أتوقع سماعه، لكن في اضطرابهما، نسيت كوغاكو وزوجتي أن تسألاني هذا السؤال الهام. أحسست بشيء من الارتياح. بالإضافة إلى ذلك، لا بد أنهما كانتا تنويان مواصلة ضغطهما عليّ، في البداية لتحصلا مني على اعتراف بشأن مجوهرة عين الهر، ثم إثارة موضوع العلاقات بين ساتسوكو وهاروهيسا. لكن كان يبدو أنهما كانتا مترددتين، لكي لا يتحول النقاش إلى شجار شديد. ثمّ أضاعتا فرصتهما هذه بعد أن أمطرتهما بجوابي المتعالي. لكنني لم أر كيف يمكنني ألاّ أثير هذا الموضوع في وقت قريب أو بعد فترة أطول. . .

اليوم يوم ميمون، حسب التقويم القديم. ففي هذا المساء، ذهب جوكيشي وساتسوكو لحضور زفاف أحد الأصدقاء، على الرغم أن من خروجهما معاً أصبح نادراً. وقد ارتدى جوكيشي سترة عشاء، وارتدت ساتسوكو رداء كيمونو رسمياً. ولسبب ما اختارت ساتسوكو أن ترتدي ثيابها بالأسلوب الياباني، على الرغم من شدة الحرارة. وكان هذا نادر الحدوث أيضاً. فقد ارتدت رداء كيمونو من الحرير، أبيض اللون موشّى برسوم أغصان شجرة بلون وردي متدرّج إزاء خلفية زرقاء باهتة. ومن خلال الحرير الشفاف، تستطيع أن ترى لمعان بطانة زرقاء.

«هل أعجبك يا أبتي؟» سألتني عندما دخلت.

«استديري بالكامل».

كان نطاقها مصنوعاً من الحرير الشفاف الناعم، تداخله أشكال تميل إلى اللون الأصفر والذهبي بأسلوب كينزان على أرضية لازوردية ذات خيوط من الفضة. كان معقوداً في عقدة صغيرة، ويتدلى طرفه إلى الأسفل كثيراً، أما النطاق الداخلي، فكان مصنوعاً من الحرير الشفاف الأبيض يداخله لون وردي خفيف، وتزيّن النطاق خيوط ذهبية وفضية تشبه الحبل. وكانت تضع خاتماً من حجر الجاد الأخضر الداكن، وتحمل حقيبة يدوية موشّاة بالخرز الأبيض الصغير.

«إن الثوب الياباني ليس سيئاً، حالياً أم لاحقاً. من الذكاء منك أنك لم تضعي أقراطاً أو قلادة».

«أرى أنك تعرف في هذه الأمور يا أبتي».

دخلت أوشيزو وهي تحمل علبة فيها صندل، وأخرجت صندلاً للسهرة، ووضعته أمامها. تعمدت ساتسوكو، التي كانت تنتعل خفاً،

أن تنتعل صندلها أمام عينيّ. كان صندلها موشّى بلون فضّي وله كعب بثلاث طبقات، وكان لون السير الجلدي الرفيع على الطرف السفلي وردياً. ولما كان الصندل جديداً تماماً، فقد كان يصعب عليها أن تثبّت السير الجلدي الرفيع بين أصابع قدميها جيداً. ونضحت أوشيزو عرقاً عندما جئت لتساعدها في انتعاله؛ وأخيراً رضيت ساتسوكو، ومشت بضع خطوات بهما لتريني قدميها. إنها تحبّ كيف يبرزان كاحليها الأنيقين. لعلها لهذا السبب ارتدت رداءها الياباني، ودخلت لتريني مدى تأثيره عليّ.

## ١٦ أيلول (سبتمبر)

أخذت الحرارة تشتد يوماً بعد يوم - إن الحرارة شديدة في مثل هذا الوقت من منتصف أيلول. وربما يفسّر ذلك السبب الذي جعل ساقيّ ثقيلتين ومتورمتين، ويبدو أن قدميَّ قد تورمتا أكثر من ساقيَّ: فعندما أضغط على مشط قدمي يغوص اللحم إلى الداخل بطريقة مفزعة، ويحدث ذلك منذ فترة بعيدة. إن الإصبعين الرابع والخامس في قدمي اليسرى مشلولان تماماً، ويوجد تحتهما تورم يشبه حبات العنب. إن الشعور بالثقل فوق الكاحلين سيّئ للغاية، لكن الألم في باطن قدميّ أسوأ بكثير. وأشعر أن كلا القدمين - لا القدم اليسرى فقط - ملتصقتان بصحن حديدي. وعندما أمشي، فإن ساقيّ تعترض إحداهما الأخرى فأجد صعوبة في المناورة. وإذا حاولت الهبوط من الشرفة منتعلاً قبقابي الذي أنتعله عادة عندما أخرج إلى الحديقة، فإني لا أستطيع أن أفعل ذلك بسهولة، فأترنّح وأفقد توازني، فتسقط قدمي

فوق إحدى الدرجات الحجرية، أو حتى فوق الأرض العارية. وعلى الرغم من أن هذه الأعراض ليست جديدة عليّ، فقد بدأت تظهر مؤخراً. والآنسة ساساكي قلقة بشأنهما، فتقوم بفحص ردة فعل ركبتي لتتأكد إن كنت مصاباً بمرض البري بري، لكن يبدو أنه لا توجد مشكلة.

ولا تكفّ عن القول: «يجب على الدكتور سوجيتا أن يفحصك فحصاً شاملاً، ويجب أن تجري تخطيطاً للقلب، لأنك لم تجر تخطيطاً كهذا منذ فترة من الزمن، وأنا لست مطمئنة من هذا الانتفاخ».

بالإضافة إلى ذلك، وقع لي حادث هذا الصباح. فقد خرجت لأتمشى في الحديقة، وكانت الآنسة ساساكي تمسك يدي، فظهر فجأة كلبنا الضخم الذي كان من المفترض أن يكون في بيته الآن، واندفع نحوي ثم وثب عليّ. كان الكلب يريد أن يلعب، لكنني أجفلت كأن حيواناً متوحشاً قد هاجمني. وقبل أن تتاح لي الفرصة لحماية نفسي، هويت على ظهري. وبما أنني سقطت على العشب، فلم أصب بأذى كبير، لكنني أصبتُ بضربة مزعجة في رأسي. حاولت النهوض، لكني لم أستطع في البداية - واستغرقت عدة دقائق حتى أسترجع عكازي، ثم نهضت بصعوبة واستويت واقفاً على قدميّ. في هذه الأثناء، كان الكلب لا يزال يثب أمام الآنسة ساساكي يلاعبها. ثم سمعت ساتسوكو صراخها فهرعت وهي لا تزال ترتدي ثوب نومها.

عندما قالت له عابسة: «ليزلي! توقف»، هدأ الكلب وراح يخب وراءها مطيعاً وعاد إلى بيته، وهو يهز ذيله.

«هل أصبت بأذى؟» سألتني الآنسة ساساكي، وراحت تنفض حواف الكيمونو القطني الخفيف الذي أرتديه.

«لا، لكني عجوز ضعيف الجسم، لا حول لي ولا قوة أمام حيوان بهذا الحجم».

«من الجيد أنك وقعت على العشب».

كنت أنا وجوكيشي نحبّ الكلاب، لكن كانت لدينا كلاب صغيرة الحجم - كلاب أريديال أو كلاب ألمانية أو كلاب الاسبيتز الصغيرة الطويلة الشعر. أظن أن جوكيشي قال لي بعد ستة أشهر من حفل زفافه إنه يريد كلباً من نوع البورزوي، وسرعان ما أحضر كلباً رائعاً إلى البيت، ثمّ استأجر مدرباً ليدرّب الكلب يومياً. كانت رعاية هذا الكلب تتطلب جهداً كبيراً - إطعامه، وغسله، وتنظيفه بالفرشاة، وما شابه ذلك - ولم تكن زوجتي والخادمات يكففن عن التذمر، ولكي أكون متأكداً من ذلك، ورد في مفكرتي القديمة أن ذلك كله من أجل جوكيشي، لكني بدأت أدرك الآن أن ساتسوكو هي التي كانت وراء ذلك.

عندما نفق بورزوي بعد سنتين نتيجة إصابته بحمى الكلاب، قالت ساتسوكو صراحة إنها تريد كلباً آخر، وطلبت من محل بيع الحيوانات الأليفة كلباً سلوقياً، وأطلقت عليه اسم غاري كوبير وغمرته بمحبتها ورعايتها، وكانت تأخذه غالباً في نزهة، أو تطلب من نومرا أن يأخذهما كليهما في جولة بالسيارة حول المدينة. وكانت الخادمات يتهامسن بأن السيدة الشابة تحبّ غاري كوبير أكثر من ابنها كيسوكي. لكن تبيّن أن الكلب كان متقدماً في العمر عندما اشترته، وسرعان ما نفق بسبب إصابته بداء الخيطيات.

كان هذا الكلب الثالث الذي تجلبه. وحسب أصوله، فهو ينتمي إلى سلالة من الكلاب التي تعيش في لندن وتدعى ليزلي، لذلك قرّرت أن تطلق على الجرو اسم ليزلي أيضاً. إني واثق من أنني دوّنت كلّ ذلك في مفكرتي آنذاك. وكانت ساتسوكو شديدة الولع بليزلي كما كانت مولعة بغاري كوبير، لكن يبدو أن كوغاكو أو أحداً حثّ زوجتي على التخلص منه. وفي السنتين أو السنوات الثلاث الأخيرة، دار جدال طويل عن مساوئ وجود كلب كبير في البيت.

«بدأت تعرف الآن لماذا كنت أقول لك ذلك»، قالت زوجتي متذمرة، «فمنذ بضع سنوات كنتَ قوياً بما يكفي حتى تظل واقفاً على قدميك إذا وثب كلب كبير عليك هكذا، لكنك لم تعد قوياً؛ وأصبح بإمكان قطّة أن تجعلك تتعثر وتقع على الأرض، فما بالك بكلب كبير بهذا الحجم. كما أن العشب لا يكسو حديقتنا كلّها - وهناك الممر المنحدر والدرج والأحجار المرصوفة على الأرض، فما بالك إذا سقطت في أحد تلك الأماكن وآذيت نفسك؟ وفي الواقع، سمعت عن رجل محترم عجوز أمضى ثلاثة أشهر في المستشفى، وهو لا يزال يضع جبيرة، فقط لأنه تعثّر بكلب شفرد! لذلك كنت أطلب منك أن تطلب من ساتسوكو أن تتخلّى عن هذا الكلب - لأنني لو طلبت منها ذلك، لما أنصتت إليّ».

«لكن الطلب منها أن تتخلّص من حيوان شديدة الولع به سيكون أمراً فظيعاً. . .»

«لكن هذا لا يستحق بأن تخاطر بسلامتك وصحتك».

«لنفرض أنني أقنعتها بالتخلص منه، فماذا يمكننا أن نفعل بكلب ضخم كهذا؟»

«لا بد أن أحداً يريده، إني متأكدة من ذلك».

«ربما كان الأمر كذلك لو كان جرواً، لكن كلباً بهذا الحجم يصعب الاعتناء به. بالإضافة إلى ذلك، فأنا شخصياً متعلق به».

«أظن أنك تخشى من أن تغضب ساتسوكو منك. ألا تخشى أن يؤذيك؟»

«لماذا لا تسألينها؟ إذا رغبت ساتسوكو في ذلك، فلا مانع لديّ».

في الحقيقة، فإن زوجتي لا تجرؤ على أن تسألها أيضاً. ويوماً بعد يوم، كانت قوّة «السيدة الشابة» تزداد، لذلك أصبح من المتعذر معرفة كم سيكون الشجار عنيفاً إذا نشب من أجل التخلّص من الكلب، وعندما تفكّر زوجتي في ذلك، فلن ترتكب حماقة وتفتح معركة معها.

والحق يقال، فإني لا أعير أي اهتمام لليزلي. فأنا أعرف جيداً أنني أتظاهر بأني أحبّه، كرمى لعينيّ ساتسوكو. وعلى نحو ما، فإن رؤيتها عندما تخرج لتنزّه الكلب، وتجلس إلى جانبه أمر يدعو إلى الضحك. فمن الطبيعي، أنها يجب أن تكون جالسة مع جوكيشي، وقد أتقبّل الأمر حتى لو كانت مع هاروهيسا، لكن أن أغار من كلب فهذا ذلك أكثر إزعاجاً.

إن قسمات ليزلي أرستقراطية، ولا بد أنه ينتمي إلى سلالة نبيلة، ولعله أكثر وسامة من هاروهيسا التي تشبه الزنجيات. وكان يتكور على نفسه بجانب ساتسوكو في السيارة، وكانت عندما تقود السيارة، تطوق رقبته بذراعها، وتلصق خدّها بخدّه. لا بد أن هذا الأمر يعتبر مزعجاً وعدوانياً لأي شخص.

قالت نومورا: «إنها لا تفعل ذلك إلا عندما تنظر إليها يا سيدي». إذا كان الأمر كذلك حقاً، فلعل ذلك أحد أساليبها في إثارتي.

وأذكر أنني، ذات مرة، أردت أن أصنع لها معروفاً، وحاولت ملاعبة ليزلي أثناء وجود ساتسوكو، فألقيت قطعاً من البسكويت من فوق سياج بيته، فامتعضت.

«ماذا تفعل يا أبي؟» قالت بحدّة، «أرجو ألاّ تعطيه شيئاً من دون أن تسألني. حسناً انظر! إنه مدرّب جيداً بحيث يرفض أن يلمس أي قطعة ترميها له». وتوجهت إلى داخل السياج، وراحت تداعب الكلب وتلاطفه أمام عينيّ، تمسّد خدّه، وتكاد تقبّله، وتبتسم ابتسامة عريضة وكأنها تقول: «إنك تغار، أليس كذلك؟»

إني لا أكترث إن جرحت ساتسوكو مشاعري إذا كان ذلك يدخل السرور إلى نفسها، وكلما كان الجرح مميتاً، كان أفضل، حتى أني أحلم بأن أموت دهساً، لا بواسطتها بل بواسطة كلبها.

في الساعة الثانية بعد الظهر، جاء الدكتور سوجيتا. يبدو أن الآنسة ساساكي شعرت بضرورة أن تخبره بالحادث الذي وقع لي.

«سمعت أنك سقطت بقوة».

«كانت سقطة بسيطة».

«في جميع الأحوال، دعني ألقي نظرة عليك».

استلقيت وراح يفحص ذراعيَّ وساقيَّ بدقة. كانت الآلام التي تشبه آلام الروماتيزم في كتفيّ ومرفقيّ وركبتيّ تزعجني منذ مدة، ولم تكن بسبب ليزلي. ولحسن الحظ بدا أنني لم أصب بأيّ شيء. فحص الدكتور سوجيتا ظهري، وطلب مني أن آخذ نَفَساً عميقاً،

ونقر على صدري بأصابعه عدة مرات، وراح ينصت إلى قلبي. وأخيراً أخرج جهاز تخطيط قلب محمول وأجرى تخطيطاً لقلبي.

«لا أظن أن ثمة شيئاً يدعو للقلق»، قال قبل أن يغادر، «سأبلغك بالنتائج مساء اليوم».

اتصل بالهاتف ليخبرني النتيجة هذا المساء.

قال: «إن تخطيط القلب الجديد لا يظهر شيئاً خطيراً»، وأضاف، «بالطبع لا بد أن يطرأ شيء من التغيير على رجل مجنون في عمرك، لكن لا يوجد شيء غير طبيعي. يجب أن تفحص كليتك ذات يوم».

## ٢٤ أيلول (سبتمبر)

البارحة، طلبت الآنسة ساساكي إذناً لتمضي الليلة مع أسرتها. كانت هذه هي المرّة الأولى التي تذهب لزيارة أسرتها منذ الشهر الماضي، لذلك لم أستطع أن أرفض طلبها؛ وهذا يعني أنها ستعود في حوالى ظهيرة يوم الأحد. كان ذلك مناسباً لها، لأنه يتيح لها قضاء صباح يوم أحد هادئ مع أسرتها، لكني أردت أن أعرف رأي ساتسوكو، فمنذ تموز (يوليو)، دأبت زوجتي على القول إنها تريد أن تحلّ محلّ الممرضة في الليل.

«لم لا تسمح لها بالذهاب؟» قالت ساتسوكو، «ربما كانت تتطلع إلى ذلك».

«ألا تمانعين؟»

«لماذا تسأل؟»

«غداً يوم الأحد، كما تعرفين».

«طبعاً إنه يوم الأحد. وماذا في ذلك؟»

«ربما ستقولين إن هذا لا يهم، لكن جوكيشي بدأ يسافر كثيراً في الآونة الأخيرة؟»

«وماذا في ذلك؟»

«لعله يريد أن يذهب إلى البيت في عطلة نهاية الأسبوع».

«حسناً، وماذا في ذلك؟»

«لعله يحبّ أن ينام في وقت متأخر مع زوجته!»

«إذاً حتى الرجل العجوز الشقي يريد أن يحرص على ابنه أحياناً، هل الأمر كذلك؟»

«للتكفير عن ذنوبي، على ما أظن».

«على أي حال هذا لا يعنيك: سيقول لك جوكيشي إنه من الأفضل ألا تكون على هذه الدرجة من اللطف».

«كنت أتساءل».

«لا بأس، لا تقلق عليه. إنك تنهض مبكّراً، لذلك سأحلّ محلّ الآنسة ساساكي الليلة، وأذهب إليه بعد أن تستيقظ».

«إنك ستوقظينه من نومه العميق».

«لا تكن سخيفاً، سيستلقي هناك بانتظاري».

«لقد استسلمت».

في التاسعة والنصف استحممتُ، وفي العاشرة أويت إلى الفراش، وكالعادة جلبت أوشيزو كرسياً طويلاً من الخيزران الهندي من أجل ساتسوكو.

«هل ستنامين على هذا الكرسي مرة أخرى؟»

«سأكون مرتاحة تماماً يا أبتي. أرجو أن تصمت وتنام».

«ستبردين».

«لا تقلق؛ سأستخدم بطانيات كثيرة. أوشيزو ستتدبر الأمر».

«إذا تركتك تبردين فإني سأشعر بالذنب تجاه جوكيشي - نعم، وليس جوكيشي فقط».

«إنك مزعج! يبدو أنك بحاجة إلى أدالين مرة أخرى».

«لعلي أحتاج إلى أكثر من قرصين».

«هراء! في الشهر الماضي كان قرصان يكفيان. ما إن كنت تبتلعهما، حتى كنت تغطّ في النوم. كان فمك فاغراً، وريالتك تسيل».

«لا بدّ أنني كنت مضحكاً في هذا المنظر».

«سأترك ذلك لخيالك. لكن اسمع يا أبتي، لماذا لا تنزع طاقم أسنانك عندما أنام هنا؟ أعرف تماماً أنك تفعل ذلك عادة».

«أحسّ براحة أكبر عندما أخلعه في الليل، لكنه يجعلني أبدو قبيحاً. ولا آبه إن رأتني زوجتي أو الآنسة ساساكي».

«أتظن أنني لم أرك هكذا؟»

«ربما رأيتني».

«في السنة الماضية كنت في غيبوبة طوال نصف اليوم، أتذكر؟»

«هل رأيتني آنذاك؟»

«لا يهمّ إن كنت تضع طاقم أسنان أم لا، لكن من المضحك أن تحاول إخفاء الأمر».

«لست متحمساً لإخفائه، فقط لا أريد أن أزعج الآخرين».

«لكن يخيّل إليك أنك تستطيع إخفاءه إن لم تخرجه!»

«حسناً، سأفعل ذلك. سترين كيف سأبدو».

غادرتُ السرير وتوجهت إليها ووقفت أمامها. ثمّ أخرجت طقم أسناني العلوي والسفلي، ووضعتهما في العلبة المخصصة لهما على المنضدة الصغيرة بجانب السرير، وأطبقت على لثتي بقوة، وجعلت وجهي يتغضّن بقدر ما أستطيع؛ وأصبح أنفي قريباً من شفتيّ، إلى حد أن هيئة الشمبانزي كانت تبدو أفضل من هيئتي. ومرة تلو المرة، رحت أفتح لثتي وأغلقها، ولعقت لساني الأصفر في أطراف فمي. ثبتت ساتسوكو عينيها على هذا المشهد الغريب، المنفر.

قالت: «إن وجهك لا يضايقني على الإطلاق»، وأخرجت مرآة من درج المنضدة الصغيرة، ثم أضافت، «لكن هل نظرت إلى نفسك جيداً؟ دعني أريك... انظر»، ورفعت المرآة إلى وجهي، وقالت: «حسناً، ما رأيك؟»

«إنه بشع إلى درجة لا تصدق».

بعد أن نظرت إلى نفسي في المرآة، نظرت إلى ساتسوكو. لم أصدق أننا مخلوقان ينتميان إلى النوع ذاته. فكلما ازدادت قباحة وجهي في المرآة، ازداد وجه ساتسوكو جمالاً على نحو مبهر، وقلت في نفسي كلما كان هذا الوجه أبشع، ازدادت ساتسوكو جمالاً.

«هيا لنأوي إلى الفراش يا أبي. عد إلى السرير، أرجوك».

«أريد قليلاً من الأدالين»، قلت، وأنا أستلقي.

«أتظن أنك لن تستطيع أن تنام الليلة؟»

«إن وجودي معك يثيرني دائماً».

«عندما رأيت هذا الوجه يجب أن تعرف أنه لا يوجد شيء يمكن أن يثيرك».

«لكنه يجعل النظر إليك أكثر إثارة. لا أظن أنك تفهمين علم النفس هذا».

«بصراحة، لا أستطيع».

«إن ما أقوله هو أنني كلما كنتُ أبشع، ازددتِ أنتِ روعة وجمالاً».

لم تكد ساتسوكو تسمع ما قلته، وخرجت لتحضر الأدالين. وعندما عادت، كانت تمسك بيدها الأخرى سيجارة أمريكية - كوول.

«افتح فمك واسعاً! يجب ألا تصبح مدمناً، لأعطيك حبتين اثنتين مرة أخرى».

«هل يمكنني أن أتناولهما من فم لفم؟»

«تذكّر ذلك الوجه».

على الأقل أنها دستهما في فمي بأصابعها.

«متى بدأت تدخنين؟»

«إني أدخن في الطابق العلوي بين الحين والآخر، خلسة». لمعت قداحة في يدها، وأضافت، «لا أحبّ التدخين كثيراً، لكنه نوع من الزينة كما تعرف. والليلة أريد أن أتخلص من الطعم السيئ في فمي».

## ٢٨ أيلول (سبتمبر)

خلال الأيام الماطرة، يزداد الألم في ذراعي وساقيّ أكثر من أي وقت آخر، ويمكنني أن أشعر بأن التغيير قادم منذ اليوم السابق.

فعندما نهضت هذا الصباح، كنت أعاني بشدة من خدر في ذراعي ومن انتفاخ وثقل في ساقيَّ. وبسبب هطول المطر لم أتمكن من الخروج إلى الحديقة، فليس من السهل أن أخرج إلى الحديقة، وليس من السهل عليّ أيضاً أن أتمشى في الشرفة، فسرعان ما أترنح وأتعثر وأفقد توازني، وأتعرض لخطر السقوط. ويمتد الخدر في ذراعي من المرفق إلى الكتفين، ويعتريني خوف من الإصابة بشلل في أحد طرفيْ جسدي.

بعد حوالى الساعة السادسة هذا المساء، ازداد إحساسي بالبرودة سوءاً في ذراعي. وكان يبدو أنها خلت من أي إحساس، كما لو كانت مكسوة بالجليد. لا، لم تكن تخلو من أي إحساس فقط، فعندما تبلغ البرودة فيها إلى هذه الدرجة من السوء، فإني أشعر بالألم. لكن عندما يلمسها الناس فهم يقولون إن الذراعين تبدوان دافئتين كالمعتاد، ولا يشعر أحد سواي بهذه البرودة التي لا تطاق. كان ذلك يحدث منذ فترة، خاصة في عمق الشتاء، لكن كان من النادر أن أشعر بها هكذا في شهر أيلول (سبتمبر). ولتلافي ذلك، كنت ألفّ ذراعي كلها بمنشفة حارة يتصاعد منها البخار، حتى أطراف أصابعي، وألفّ فوقها قطعة صوف سميكة، وأضع فوقها كيسين لأدفئها. وعلى الرغم من ذلك، تظل ذراعي باردة قرابة عشر دقائق، لذلك أحتفظ بالماء الحار إلى جانب سريري، لأنقع فيه المنشفة وألفّها ثانية؛ ويتعين عليّ تكرار هذه العملية خمس أو ستّ مرات، وأجدد باستمرار الماء الساخن، وقد فعلت ذلك ثانية هذه الليلة، وبدا لي أن البرودة قد خفّت أخيراً قليلاً.

## ٢٩ أيلول (سبتمبر)

ليلة البارحة، بفضل عملية طويلة تقريباً من لفّ المناشف الساخنة، خفّ الألم في ذراعي، ونمت جيداً. لكن عندما استيقظت عند الفجر تقريباً، عاد الألم إلى ذراعي. توقف المطر عن الهطول، وأصبحت السماء صافية جميلة. لو كنت أتمتع بصحة جيدة، لبدا هذا اليوم الخريفي الجميل في غاية الروعة! أزعجني التفكير كم كنت أستمتع بها منذ بضع سنوات. تناولت ثلاثة أقراص من الدولوسين.

في الساعة العاشرة صباحاً، فحصت الآنسة ساساكي ضغط دمي. انخفض ضغط الدم الانقباضي إلى ١٠٥ درجات، والانبساطي إلى ٥٨. وبإلحاح منها، تناولت كوباً من الشاي، وتناولت قطعتين من البسكويت مع قطعة صغيرة من جبن كرافت. وبعد حوالى عشرين دقيقة فحصته مرة أخرى.

لكنه عاد إلى ٥٨/ ٩٢. هذا التغيير السريع غير جيد.

«أتظن أنك يجب أن تواصل الكتابة هكذا؟» سألتني الآنسة ساساكي، عندما رأتني أكتب في دفتر مذكراتي، «أخشى ألاّ يكون ذلك جيداً على صحتك».

مع أنني لا أدعها تقرأ صفحات مذكراتي، فإنني بحاجة كبيرة إلى خدماتها، لذلك ينبغي أن أعطيها فكرة عن محتوياتها، وربما أطلب منها قريباً أن تحضر لي الحبر.

«حتى لو كانت الكتابة تسبب لي شيئاً من الألم، فإنها تسلّيني. وإذا اشتد الألم، فسأتوقف عن الكتابة. ومن الأفضل لي أن أشغل نفسي في هذه الفترة. يمكنك أن تغادري الآن».

في الساعة الواحدة بعد الظهر، استلقيت لآخذ قيلولة؛ غفوت حوالى ساعة، عندما استيقظت كنت مبللاً بالعرق.

«ستبرد»، قالت الآنسة ساساكي، عندما دخلت لتغيّر ملابسي الداخلية القطنية التي كانت ترشح عرقاً. أحسست بلزوجة في جبهتي وحول رقبتي على نحو كريه.

«إن الدولوسين دواء جيد، لكني لا أتحمّل هذا التعرّق الشديد. ألا يوجد شيء آخر يمكنني تناوله». وفي الساعة الخامسة، جاء الدكتور سوجيتا. ربّما كان تأثير الدواء قد زال، فعاد الألم بقوة.

«يقول إن دواء الدولوسين يجعله يتعرّق» قالت الآنسة ساساكي للدكتور سوجيتا.

«ذلك سيّئ للغاية»، قال مشفقاً، «وكما شرحت لك من قبل، ومن الصور الإشعاعية، فإن معظم الألم الذي يعتريك هو ألم أعصاب ناجم عن بعض التغيرات الفيزيولوجية، في فقرات العنق، مع أنه يبدو أن جزءاً منه مصدره المراكز العصبية في الدماغ. وأن الطريقة الوحيدة لتصحيح ذلك، تكمن في التخفيف من ضغط الأعصاب بالشدّ، أو بوضع جبيرة، ويستغرق ذلك ثلاثة أو أربعة أشهر. لكن من المستبعد أن يتحمّل رجل في سنك هذا العلاج القاسي، وفي هذه الحالة، فإن كلّ ما يمكننا عمله هو التخفيف عنك حدة الألم مؤقتاً بواسطة الدواء. وتوجد لدينا أنواع عديدة من الأدوية، فإذا لم ترغب في تناول الدولوسين أو النوبولون، دعني أعطيك زرقة من الباروتين. قد تؤلمك قليلاً، لكني لا أظن أنها سيئة إلى هذه الدرجة».

بدأت أشعر بالتحسن من الحقنة التي زرقني إياها.

## ١ تشرين الأول (أكتوبر)

لا تزال يدي تؤلمني، وخاصة الإصبعين الأخيرين، وهو يمتد شيئاً فشيئاً ليصل إلى الإبهام. أصبحت راحة يدي كلها تؤلمني حتى نهايات عظام الزند وعظام الكعبرة في ساعدي. أجد صعوبة في لوي رسغي، وهو يؤلمني كثيراً. الشعور بالخدر سيّئ فيها - ولا أعرف ما الذي يجعل رسغي متصلباً، الخدر أم الألم. أتناول حقنة الباروتين مرّتين يومياً، بعد الظهر وفي الليل.

## ٢ تشرين الأول (أكتوبر)

لا يزال الألم مستمراً. اتصلت الآنسة ساساكي بالدكتور سوجيتا، وزرقني بحقنة سالسوبروكانون.

## ٤ تشرين الأول (أكتوبر)

بما أنني لا أحبّ حقن بالنوبولون، جرّبت أخذ تحاميل، لكن لم يطرأ تحسن كبير.

## ٩ تشرين الأول (أكتوبر)

كان الألم شديداً في الأيام الخمسة الماضية إلى درجة أنه لم تعد لدي القدرة على مواصلة كتابة يومياتي. كان كلّ ما فعلته هو أنني

كنت أستلقي في غرفة نومي، وكانت الآنسة ساساكي ترافقني باستمرار. أشعر اليوم بأني أفضل حالاً قليلاً، وأشعر بالرغبة في الكتابة. في هذه الأثناء، جرّبت شتى أنواع الأدوية، بالحقن أو ما شابها: بيرابيتال، إيرغابيتيل، دوردين، نوكتان - وسألت الآنسة ساساكي عن أسماء الأدوية التي أتناولها، لكنّي لا أتذكرها جميعها. إن دوردين ونوكتان منوّمان، وليسا مضادّين للتشنّج. في الأونة الأخيرة، بدأ الألم يبقيني مستيقظاً، وهو أمر اعتدت عليه، وأصبح عليّ أن ألجأ إلى مختلف أنواع الأدوية المنومة. وكانت زوجتي وجوكيشي يأتيان بين الحين والآخر ليطمئنا عليّ. كانت المرة الأولى التي أتت فيها زوجتي لزيارتي بعد ظهر الخامس من الشهر، وهو اليوم الذي اشتد فيه الألم.

«ساتسوكو تسأل هل يمكنها أن تأتي. . . . » لم أردّ.

«لذلك قلت لها إنكَ لا تمانع، لأن مجرد رؤيتها سيساعدك على نسيان ألمك».

«غبية!» صحت، واستبد بي غضب مفاجئ. فأنا أعرف أنني سأكون في غاية الحرج عندما ترى ساتسوكو حالتي البائسة، وعلى الرغم من ذلك فإنني لا أريد أن تكون بعيدة عني.

«أوه؟ إذاً لا تريد أن تراك؟»

«نعم، ولا أريد أن تأتي كوغاكو والآخرون لزيارتي أيضاً».

«أتفهّم ذلك. منذ أيام قليلة لم أسمح لكوغاكو بزيارتك، وطلبت منها أن تتحلى بالصبر - فمهما قلت إنها تؤلمك، فهي يدك. وراحت تبكي أيضاً».

«وما الداعي للبكاء؟»

«ولم تتوقف ساتسوكو عن القول إنها تريد أن تأتي لزيارتك حتى أوقفتها عن طلبها. لكن ما المشكلة بالنسبة لساتسوكو؟ ماذا لديك ضدها؟»

«أيتها الغبية! من قال إنه يوجد لدي شيء ضد ساتسوكو؟ حاشى لله، فأنا أحبها كثيراً، ولهذا السبب فإني لا أريد أن أراها في وقت كهذا».

«هذا هو شعورك إذاً»، قالت بهدوء، كأنها تريد أن تسكت طفلاً، «لقد تكلّمت من دون تفكير، لكن أرجوك لا تفقد أعصابك. إنه أسوأ شيء يمكن أن تفعله»، واندفعت خارج الغرفة.

لا بد أن زوجتي قد لامست بقعة مؤلمة، وحاولت أن أموّه شعوري بالحرج بأن أبديت غضبي. وبعد أن فكّرت في الأمر بهدوء بعد ذهابها، ندمت لأنني انفجرت غضباً بشكل أحمق. كيف ستتلقى ساتسوكو النبأ عندما تسمع ما قلته؟ لا بد أنها ستتفهم موقفي ولن تشعر بالإهانة.

«نعم»، قلت لنفسي، «ربما كان من الأفضل أن أراها. إذا سنحت الفرصة المناسبة لأتوصل إلى طريقة ما...»

بعد ظهر اليوم، فكّرت في طريقة للقائها. لا بد أن يدي ستؤلمني في الليالي القليلة القادمة - كنت أتطلع إلى ذلك - وعندها سأنادي ساتسوكو عندما يبلغ الألم ذروته. «ساتسوكو! ساتسوكو!» سأصرخ باكياً، مثل طفل. «ساعديني! إني أتألم». سيفزعها ذلك، وستأتي. وستقول لنفسها بحذر هل هذا الرجل العجوز جادّ هذه المرة، أم أنها إحدى ألاعيبه. لكنها ستأتي، متظاهرة بأنها خائفة. وسأصرخ، «إن ساتسوكو هي الشخص الوحيد الذي أحتاج إليه»،

لكي تخرج الآنسة ساساكي من الغرفة، وأضيف، «لست بحاجة إلى أي أحد غيرها»، ثمّ كيف سأبدأ، عندما نصبح وحدنا؟

«حسناً يا أبتي، قل لي ماذا تريد. هيا قل لي - إني سأفعل كل ما تطلبه مني».

لا أريد أكثر من ذلك، لكن ليس من المحتمل أن تقع في الفخّ. لا بدّ من وجود وسيلة لإقناعها.

«إن أعطيتني قبلة، فسأنسى كلّ الألم».

«لا ينفع على ساقك فقط... حتى مجرد المعانقة لن تنفع... لن أرضى أقل من قبلة حقيقية».

لنفرض أنني استجديت ونشجت وأنيت هكذا، ثم بدأت أصرخ. ألن ترضخ؟ أظن أنني سأجرّب ذلك قريباً. قلت: «عندما يبلغ الألم ذروته»، لكن بوسعي أن أتصنّع ذلك، وليس من الضروري أن أتألم في الحقيقة. أريد أن أحلق أولاً، فبعد حوالى أسبوع من استلقائي في الفراش، طال شعر سالفيّ. لعل ذلك يكون مؤثراً بطريقة ما، لأنه يجعلني أبدو ضعيفاً وعاجزاً، لكن لا نفع من الوجه الشائك عندما يصل الأمر إلى التقبيل. في جميع الأحوال، سأنزع طقم أسناني، وسأنظف فمي لتصبح رائحته جيدة بقدر الإمكان...

مرة أخرى، عاودني الألم هذا المساء. لم أعد أكتب - سأضع فرشاتي جانباً، وسأنادي الآنسة ساساكي.

## ١: تشرين الأول (أكتوبر)

تناولت حقنة إرغابيرين ٥ مم. وللمرة الأولى منذ عدة أيام

شعرت بالدوار. بدأ السقف يدور ويدور وبدأت أرى العمود عمودين أو ثلاثة أعمدة. استمرت هذه الحالة حوالى خمس دقائق، وأحسست بضغط ثقيل في قاعدة جمجمتي. تناولت نصف حبة من لومينال، وخلدت إلى النوم.

## ١١ تشرين الأول (أكتوبر)

عاودني ذات الألم الذي ألمّ بي البارحة، وأخذت تحميلة نوبولون.

## ١٢ تشرين الأول (أكتوبر)

تناولت ثلاثة أقراص دولوسين. كالعادة أصبح جسدي يرشح عرقاً.

## ١٣ تشرين الأول (أكتوبر)

أتمتّع هذا الصباح بشيء من الراحة، لذلك سأسرع في تدوين ما حدث ليلة البارحة.

في الثامنة مساء، جاء جوكيشي فجأة.

«هل تشعر بأيّ تحسّن اليوم؟»

«أفضل؟ فالأمر يزداد سوءاً يوماً بعد يوم».

«إنك مهندم وحليق، أليس كذلك؟»

في الحقيقة، كان الألم شديداً في يدي ولم أستطع استخدام موسى الحلاقة، لكنني تمكنت من حلاقة ذقني ذاك الصباح.

«لم تعد الحلاقة سهلة عليّ، لكن لو تركت شعر لحيتي يطول كثيراً، فسأبدو رجلاً عاجزاً».

«ألم تطلب من ساتسوكو أن تحلق لك ذقنك؟»

ما الذي جعل ذلك النذل يقترح شيئاً كهذا؟ هل ثارت شكوكه عندما رأى أنني حلقت ذقني؟ منذ البداية، كان يصرّ على أن معاملة ساتسوكو، باعتبارها «السيدة الشابة» في بيتنا - محاولة طبيعية للتعويض عن خلفيتها - جعلها مدللة وأفسدها. في الحقيقة، فأنا أتحمل جزءاً من المسؤولية عن ذلك، لكن جوكيشي نفسه، على الرغم من أنه زوجها، كان يراعيها كثيراً. لا أعرف كيف يتصرف عندما يكونان وحدهما، لكنه كان يحرص على أن يتصرف بشكل جيد أمام الآخرين. حتى لو كنت والده، فهل يريد حقاً أن تؤدّي زوجته الغالية على قلبي لي مثل هذه المهمّة الحقيرة؟

فقلت له: «إني أفضّل ألاّ تلمس امرأة وجهي»، خطر لي في الوقت نفسه، أنني إذا انحنيت إلى الوراء في الكرسي الذي أجلس عليه لتحلق لي ذقني، فإني سأتمكن من رؤية حتى داخل فتحتَيْ أنفها. لذاك اللحم الشفّاف الرقيق، وميض مرجاني رائع.

«إن ساتسوكو تجيد استخدام آلة الحلاقة الكهربائية! كانت تحلق لي ذقني عندما كنت مريضاً».

«هل ساتسوكو تفعل لك ذلك حقاً؟»

«طبعاً! ما الغريب في ذلك؟»

«لم يخطر في بالي أنها ستكون طيّعة إلى هذه الدرجة».

«اطلب منها أن تحلق لك ذقنك، أو افعل أيّ شئ تريد. سأكلّمها بنفسي».

«إني أتساءل. أهذا ما تقوله لي، لكن هل ستطلب من ساتسوكو حقاً أمراً كهذا؟ أن تفعل أيّ شيء يقوله والدك؟»

«لا تقلق، سأعتني بالأمر».

لا أعرف ماذا قال لها، أو كيف، لكن بعد الساعة العاشرة بقليل من ليلة البارحة، ظهرت ساتسوكو على نحو غير متوقع، وقالت: «قلت يجب ألاّ أزورك، لكني جئت لأن جوكيشي طلب مني ذلك».

«وماذا حدث لجوكيشي؟»

«لقد ذهب إلى مكان ما - مرة أخرى ذهب ليشرب».

«كنت أتمنّى أن يحضرك إلى هنا ويطلب منك ذلك أمامي».

«إنه لا يطلب مني ذلك! كان ينبغي ألاّ يذهب - على كل حال، استمعت إليه وطلبت منه أن يذهب. قلت له إنه سيكون على الطريق».

«جيد، لكن يوجد أحد دائماً على الطريق».

فهمت الآنسة ساساكي على الفور، فاستأذنت وخرجت.

في تلك اللحظة، كما لو كان ذلك مؤشراً، فقد ازداد الألم حدّة في يدي، وتصلّبت يدي كلها من الرسغ حتى أطراف أصابعي وأصبحت مثل قطعة خشبية، وأحسست بوخز مؤلم، هنا وهناك في كلا الجانبين، مثل نمل يزحف فوق الجلد، وكان ذلك مؤلماً للغاية. وكانت يدي باردة كأنني غمرتها في حوض من هريسة نخالة الرزّ الشديد البرودة. كانت باردة جداً، ومخدرة، وظلت تؤلمني بشدة. لا يمكن لأحد أن يتفهم هذا الألم إلا الشخص الذي يعاني منه.

حتى الطبيب يبدو أنه لا يتفهم هذا الإحساس بالألم، مهما فسّرته له.

«ساتسو!» صحت، «إن يدي تؤلمني». لم أكن أتظاهر بالألم، فصيحة كهذه لا تنبعث إلا إذا كنتَ تتألم حقاً. لو كنت أتظاهر بذلك فقط، لما تمكنت من إحداث هذا التأثير الحقيقي. والأهم من كل ذلك، كانت هذه هي المرّة الأولى التي أدعوها «ساتسو» بطريقة مباشرة وحميمية، وبتلقائية تامة. وقد أدخل ذلك السرور إلى نفسي. غمرتني السعادة على الرغم من الألم.

«ساتسو، ساتسو! إنها تؤلمني». بدأت أئنّ الآن مثل طفل مدلّل. لم أكن أقصد ذلك، لكن صوتي اعترته هذه النبرة بصورة طبيعية.

«ساتسو، ساتسو، ساتسو». بينما رحت أنادي اسمها مراراً، انفجرت في البكاء. سالت الدموع على خديَّ، وسال أنفي، وروّل اللعاب من فمي. كنت أصرخ حقاً - لم يكن ذلك تمثيلاً، وفي اللحظة التي صرخت فيها «ساتسو» عدت طفلاً شقياً، مشاكساً. ورحت أصيح وأبكي من دون أن أتمالك نفسي، ولم أعد أستطيع كتمان ذلك حتى لو حاولت ذلك. ربما جننت في واقع الأمر! ربما كان هذا ما أحسست به.

رحت أصرخ بدون توقّف. لا يهمني إن كنت قد جننت، لا يهمّ ماذا يليق بي - كانت تلك هي الأفكار التي جالت في رأسي، لكن عندئذ، انتابني ذعر مفاجئ من أن أجنّ حقاً؛ لكنه تحول بعد ذلك إلى تمثيل: بدأت أحاول تقليد طفل مدلّل.

«ساتسو، ساتسو».

«الآن توقف عن عمل ذلك، يا أبتي».

لاذت ساتسوكو بالصمت لوهلة، وراحت تحدّق بي بشيء من الاضطراب، لكن عندما التقت عينانا، بدا أنها أدركت على الفور ما كان يدور في رأسي. مالت وقرّبت فمها من أذني وهمست، «إذا واصلت التظاهر بأنك مجنون، فإنك سرعان ما ستصبح مجنوناً»، همست بصوت منخفض تشوبه نبرة من السخرية، وأضافت، «إن هذا التصرف المضحك يثبت أنك في سبيلك إلى ذلك». كان تهكّمها مثل ماء بارد دلق على وجهي؛ ثم مضت تقول: «حسناً قل لي إلام ترمي. لكني لن أفعل شيئاً لك، ما دمت تبكي وتصرخ هكذا».

«حسناً، سأتوقّف عن البكاء»، قلت ببرود، كأنّ شيئاً لم يحدث.

«طبعاً ستفعل ذلك! إني عنيدة الطباع، وهذا النوع من التصرف يزيدني عناداً.»

لعل من الأفضل لي أن أتوقف عن عمل ذلك. لقد أفلتت أخيراً من دون أن تقبّلني. لم تدع شفتيّ تلامسا شفتيها - لم تكن شفتاها تبعدان عن شفتيَّ سوى سنتيمتر واحد، وجعلتني أفتح فمي واسعاً، لكن كلّ ما فعلته، أنها تركت نقطة من ريقها تسقط في فمي.

«هيا! يجب أن ترضى بذلك. وإذا لم يرضيك ذلك، عليك أن تكتفي بذلك».

«إنها تؤلمني، أقول لك، إنها تؤلمني حقاً».

«يجب أن تشعر بتحسّن الآن».

«إنها تؤلمني».

«ها قد بدأت تصرخ ثانية! سأخرج من هنا. هيا تابع صياحك وابكِ كما تشاء».

«اسمعي، يا ساتسوكو، من الآن فصاعداً دعيني أناديك ساتسو في بعض الأحيان».

«سخيف».

«ساتسو».

«إنك طفل مدلل شقيّ - من تظن أنه يمكن أن يصدق ما تفلعه؟» وخرجت غاضبة.

## ١٥ تشرين الأول (أكتوبر)

تناولت الليلة ٣ سم مكعب من باربيتال و ٣ سم مكعب من برومرال. يجب أن أغيّر الأدوية المنومة التي أتناولها من حين لآخر، وإلا فإن تأثيرها سرعان ما سيتوقف. لم أجد أي تأثير لعقار لومينال عليّ.

## ١٧ تشرين الأول (أكتوبر)

اتصل الدكتور سوجيتا بالدكتور كاجيورا في مستشفى جامعة طوكيو الذي جاء بعد ظهر اليوم. وكنت قد تعرفت عليه عندما زرته قبل عدة سنوات عندما أصبت بنزف دماغي. وقدّم اليوم تقريراً مفصّلاً عن التقدّم الذي أحرزته منذ ذلك الحين، ورأى صور الأشعة التي أُخذت للفقرات العنقية والقطنية.

وبما أن الدكتور كاجيورا لم يكن مختصاً في طب العظام، فلم يكن قادراً على تشخيص الألم الذي أعاني منه في يدي اليسرى،

لكنه ينحو للاتفاق على ما قالوه لي في مستشفى تورانومون؛ وقال إنه سيأخذ الصور إلى الجامعة ويطلب من بعض زملائه إلقاء نظرة عليها، قبل أن يبدي رأياً محدداً. وبما أنه غير اختصاصي، فقد كان يبدو له أن تغييراً قد طرأ على المنطقة التي تؤثّر على أعصاب يدي اليسرى. فإذا لم أتحمّل الجبيرة، أو السرير المنزلق، أو سرير الشدّ، فلا يمكن عمل شيء للتخلص من الألم الذي تسببه أعصابي، وقال إنني يجب أن أعتمد على العلاجات المؤقتة التي كان قد قررها الدكتور سوجيتا. أما بالنسبة للدواء، فلا ريب أن حقنة الباروتين هي الأفضل، وتوجد للإرغابيرين آثار جانبية غير مرغوبة، لذلك يجب أن أتوقف عن تعاطيه.

ثمّ فحصني وأخذ لي صورة إشعاعية، وغادر.

## ١٩ تشرين الأول (أكتوبر)

تلقى الدكتور سوجيتا مكالمة هاتفية من الدكتور كاجيورا الذي قال إن التشخيص الذي خلص إليه قسم العظام في مستشفى الجامعة يتطابق مع النتائج التي توصل إليها مستشفى تورانومون.

عند الساعة الثامنة والنصف تقريباً مساء، فتح أحدهم باب غرفتي باستحياء، من دون أن يقرع الباب.

«من؟» سألتُ. لكنني لم أسمع جواباً.

«من؟» كرّرت سؤالي. هذه المرة دخل كيسوكي خلسة إلى الغرفة. كان يرتدي كيمونو النوم. فسألته، «ماذا تفعل هنا في هذه الساعة؟ لماذا جئت إلى هنا؟»

«جدي، هل يدك تؤلمك؟»

«يجب ألا يشغل طفل مثلك نفسه بمثل هذه الأمور. ألم يحن وقت نومك؟»

«كنت في السرير! لقد تسللت وأتيت لرؤيتك».

«الآن، الآن، عد إلى السرير! يجب على الطفل ألاّ...»، كاد صوتي يختنق وبدأت الدموع تنهمر على خدي.

كانت الدموع التي انهمرت على خدي تختلف عن الدموع التي انهمرت أمام أمّ الطفل في ذلك اليوم، عندما رحت أصرخ وأبكي، وعويت وبكيت كثيراً، أما في هذه المرة، فلم تنهمر سوى بضع دموع اغرورقت في عيني. ولكي أخفي دموعي، وضعت نظارتي بسرعة، لكنهما غبشتا على الفور، فزاد الأمر سوءاً. حتى الطفل يمكنه أن يعرف أنني كنت أبكي.

إن كانت دموعي في ذلك اليوم توحي بالجنون، فماذا عن دموعي اليوم؟ هذه المرة، لم تكن متوقعة مطلقاً. إني أعرف رغبة ساتسوكو في صدم الآخرين، وأظن أن البكاء أمر مخز للرجل؛ ومع ذلك، فقد كانت الدموع تأتيني بسهولة - حتى لأتفه الأسباب. وهذا ما كنت أحاول أن أخفيه على الدوام. فمنذ طفولتي، كنت أجد متعة بأداء دور الوغد؛ ودأبت على قول أشياء لاذعة وشريرة لزوجتي، فما إن تبدأ تقول شيئاً حتى أفقد أعصابي. لذلك كنت أبذل كلّ ما بوسعي لمنعها من التعرف على مواطن ضعفي. بمعنى آخر، على الرغم من أنني رجل عاطفي وتتدفق دموعي بسرعة - صادقة مثل صوتي - فإن طبيعتي الحقيقية منحرفة وغير مبالية في حدها الأقصى. فأنا من ذلك النوع من الرجال، لكن على الرغم من ذلك، فعندما يبدي لي طفل

بريء مثل هذه المودّة والعطف فجأة، فإني لا أتمالك نفسي عن عدم تبليل نظارتي.

«افرح يا جدي! إن صحتك ستتحسن قريباً».

ولكي أخفي دموعي، سحبت الملاءة فوق رأسي. ما أزعجني هو أنه لا بد أن الآنسة ساساكي قد لاحظت ذلك.

«نعم، ستتحسن صحتي قريباً... اذهب الآن إلى غرفتك ونم...»، هذا ما كنت أحاول أن أقوله، لكن صوتي أخفق في قول ذلك. وفي العتمة الحالكة تحت الملاءات، سالت الدموع على خديَّ، وكأن سداً قد تحطم. كنت أرجو أن يخرج من الغرفة الآن! هل سيزعجني طوال الليل؟

بعد حوالى ثلاثين دقيقة، وبعد أن جفّت دموعي، أخرجت رأسي من الملاءة. كان كيسوكي قد ذهب.

«السيد كيسوكي يقول أشياء مؤثّرة، أليس كذلك؟» قالت الآنسة ساساكي، «طفل صغير في سنه، قلق على صحة جدّه».

«إنه صريح جداً. إني أمقت مثل هؤلاء الصغار الأوغاد الوقحين».

«آه، لا أظن أنك تقصد ذلك».

«لقد طلبت بأن لا يسمح له بالمجيء إلى غرفتي، وها هو يتسلل ويأتي. يجب أن يكون الطفل مطيعاً أكثر».

اعتراني الحنق عندما فكّرت في أنه جعلني أبكي بهذه السهولة، في عمري. من المؤكد أن هذا الأمر غير معتاد، حتى بالنسبة لي. أتساءل إن كان ذلك حدث لأن موتي أصبح وشيكاً...

## ٢١ تشرين الأول (أكتوبر)

حصلت اليوم على بعض المعلومات المثيرة من الآنسة ساساكي. قالت إنها صادفت الدكتور فوكوشيما، جرّاح العظام في المستشفى الذي تعمل فيه، عند طبيب الأسنان بعد ظهر البارحة، وتحدّثا معاً حوالى عشرين دقيقة في غرفة الانتظار.

عندما سألها الدكتور فوكوشيما ماذا تعملين الآن، قالت له إنها تعمل ممرضة خاصّة لدى رجل محترم؛ ومن هنا، أفضى الحديث الذي دار بينهما إلى الألم الذي أعاني منه في يدي؛ وسألته هل يوجد علاج جيد غير الشدّ، بما أنني كنت متقدماً في السن ولا أحب أشياء مزعجة كهذا، فقال لها إنه يعتقد أنه يمكن أن يوصي بعلاج آخر.

وقال إن هذا العلاج لا ينطوي على مخاطرة كبيرة، وأسلوبه صعب ويتطلّب الكثير من المهارة التقنية التي لا تجيدها سوى حفنة قليلة من الأطباء. وقال إنه واثق من أنه يستطيع أن يجربها بأمان. وقال لا بد أن مريضها يعاني من حالة تدعى متلازمة الكتف - الذراع - الرقبة. فإذا كانت فقرة العنق السادسة متضررة، ينبغي الحقن بعقار زلوكين حول نتوئها الجانبي لحجب الأعصاب الحساسة. وأضاف أنه عندما يتم ذلك، سيزول الألم في يدي. لكن بما أن أعصاب العنق تجري وراء شرايين الرقبة، فإن إدخال إبرة أمر في غاية الصعوبة. لأن تعرض أي شريان للأذى سيكون أمراً في غاية الخطورة، كما توجد أعداد كبيرة من الأوعية الشعرية تجري داخل العنق - فإذا تسرّب شيء من الزلوكين أو حتى قليل من الهواء إلى أي منها، فإن المريض سيعاني من مشاكل في التنفس على الفور؛ لذلك فإن معظم

الأطباء يتحاشون استخدامه في العلاج، لكنه نجح في تطبيق هذا العلاج بنفسه على عدد كبير من المرضى، وقد نجحت جميعها، وقال إنه على ثقة من أنه يمكنه المحاولة ثانية.

وعندما سألته هل تستغرق العملية مدة طويلة، فقال لا - لأن الحقنة لا تستغرق أكثر من دقيقة أو دقيقتين، وحتى صور الأشعة الأولية لا تستغرق أكثر من نصف ساعة. ولما كان الأمر يتعلق بحجب أحد الأعصاب، فإن الألم سيتلاشى عندما تنتهي الحقنة. وخلال فترة وجيزة يزول الألم، وأعود إلى البيت مبتهجاً. هذا ما قاله لها - وسألتني ألا أريد أن أجرّب هذا العلاج؟

«إذاً الدكتور فوكوشيما رجل يمكن الوثوق به؟»

«بالفعل. لا ريب في ذلك، بما أنه يعمل في قسم جراحة العظام في ذلك المستشفى، فضلاً عن أنه متخرج من كلية الطب في جامعة طوكيو. إني أعرفه منذ سنوات».

«هل تظنين أنها عملية آمنة حقاً؟ وماذا يمكن أن يحدث إذا لم تنجح؟»

«من طريقة كلامه، لا أظن أنه توجد أي خطورة فيها، لكن إن أردت، سأذهب لرؤيته ثانية ليعطينا معلومات أخرى عنها».

«يبدو أن الأمر جيد، إذا كان ما يقوله صحيحاً».

استشرت الدكتور سوجيتا على الفور، لكنه أبدى مخاوف منها.

«نعم؟ إني أتساءل عما إذا كان يتمتع بمهارة كافية لإجرائها. سيكون ذلك عملاً رائعاً».

## ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر)

ذهبت الآنسة ساساكي لزيارة الدكتور فوكوشيما لتحصل على مزيد من المعلومات. لم أفهم كل التفاصيل الفنية التي ذكرها لها. وقالت إنه كرر على مسامعها أنه أجرى عمليات كثيرة كهذه. وقال لها أيضاً إن أحداً من مرضاه لم يبد خوفاً أو قلقاً من هذه العملية - وإنه كان يحقنهم بناء على رغبتهم، وقد شعروا بالتحسن في الحال، وعادوا إلى بيوتهم والسعادة تغمرهم. لكن لا ضير من وجود اختصاصي تخدير خلال العملية ووجود أوكسجين، فربما احتاج إلى ذلك. بمعنى آخر، إذا تسرّب السائل أو الهواء إلى الأوعية الدموية، فإنه يتم إيلاج أنبوب على الفور في القصبة الهوائية لتزويدها بالأوكسجين. وقال إنه لم يفعل مثل هذا الإجراء الاحترازي من قبل، ولم يحتج إلى عمل شيء من هذا القبيل؛ لكن بما أن المريض رجل محترم، متقدّم في السن، فبوسعه أن يتخذ استعدادات خاصّة هذه المرة. وطمأنها بأنه لا داعي للقلق.

«ما رأيك يا سيدي؟» سألتني.

«من المؤكد أن الطبيب لا يريد أن يرغمك على عمل ذلك، وهو يقول إنه يفضّل أن تتخلّى عن الفكرة، إذا لم ترق لك. حسناً، لماذا لا تفكّر في الأمر...»

لا أزال أذكر كيف أنني بكيت عندما تسلل كيسوكي الصغير إلى غرفتي في تلك الليلة، وبدأ ذلك يشكل نذير شؤم. لا بد أن ما جعلني أجهش في البكاء هو أنني أحسست بهاجس الموت. لا بد أنه من الخطأ أن يدع رجل مثلي، يبدو مستهتراً ومتهوراً، لكنه في

حقيقة الأمر خجول وحذر، أن تناقشه ممرضته هل يريد أن يزرق بهذه الحقنة الخطيرة. ربما كان مكتوباً عليّ أن أموت اختناقاً بسببها.

لكني ألم أقل إنني لا أبالي إن متّ، وألم أكن مهيئاً لمواجهة الموت منذ فترة طويلة؟ فعندما أُخبرت في الصيف الماضي مثلاً أنني ربما كنت قد أصبت بسرطان الفقرات العنقية، تملّكني هدوء تام، مع أن زوجتي والآنسة ساساكي قد شحبتا. ما أدهشني هو هذا الهدوء الذي غمرني - فقد كاد يعتريني شعور بالارتياح، لأنه خيّل إليّ أنّ حياتي قد شارفت على نهايتها أخيراً. لذلك، أليست هذه الحقنة فرصة جيدة لاختبار حظي؟ وإذا خسرت، فما هي الأشياء التي يمكن أن آسف عليها؟ الطريقة التي تعذّبني فيها يدي ليلاً نهاراً، وحتى أنني لم أعد أتمتّع بالنظر إلى ساتسوكو، وأنها أصبحت تعاملني كما لو كنت رجلاً عاجزاً منهكاً. لماذا أريد أن أُخرج مثل هذا النوع؟ عندما أفكر في ساتسوكو فإني أشعر بأنني أريد أن أقامر بأدنى فرصة للعيش ثانية، ولم يعد لأي شيء آخر أي معنى.

## ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر)

لا يزال الألم مستمراً. جرّبت دوردين وكدت أغفو، لكني سرعان ما وجدت نفسي يقظاً تماماً. ثمّ زُرقت بحقنة سالسوبروكانون.

استيقظت في حوالى الساعة السادسة، ومرة أخرى، بدأت أفكر في الموت.

على الرغم من أنني لم أكن أخشى الموت على الإطلاق،

أحسست أنني أصبحت أمامه وجهاً لوجه، وأنه بدأ يدنو مني - إن الفكرة بحد ذاتها مرعبة. لشدّ ما أتمنّى أن أموت وأنا أغطّ في النوم، بلطف شديد بحيث لا يدرك أحد متى حدث ذلك. وأريد أيضاً أن أموت في هذه الغرفة بالذات، مستلقياً بسلام في سريري، محاطاً بأفراد أسرتي. لا، قد يكون من الأفضل ألاّ يكونوا هنا، خاصة ساتسوكو، فقد أبكي ثانية وأنا أودعها، وقد تضطر لأن تذرف بضع دمعات. بطريقة ما، فإن ذلك سيجعل الموت أقسى. وعندما أبدأ أحتضر، أرجو أن تنساني ببرود وأن تهرع لمشاهدة مباراة ملاكمة، أو أن تقفز إلى حوض السباحة لترقص باليه الماء - آه، إذا لم أعش حتى الصيف القادم، فلن أراها تسبح في حياتي.

لا تروق لي فكرة نقلي إلى سرير في مستشفى غريب، يحيط بي عدد من الأطباء الغرباء، مهما بلغت شهرتهم، وأعامل باهتمام مبالغ به بواسطة جرّاح عظام، واختصاصي تخدير، واختصاصي أشعّة، وما شابه ذلك، وأنا على وشك أن أموت خنقاً. إن هذه الأجواء المتوترة وحدها يمكن أن تقتلني. كيف يمكنني أن أشعر عندما يزداد تنفسي صعوبة، وأبدأ ألهث، وأبدأ أفقد وعيي شيئاً فشيئاً، وأتساءل هل أدخلوا إنبوباً في قصبتي الهوائية؟ ومع أنني لا أخشى الموت، فإني أفضّل ألاّ أمرّ بمثل هذه المعاناة والإجهاد والرعب.

لا ريب أن تصرفاتي السيئة المتراكمة خلال السنوات السبعين الماضية ستظهر أمامي في اللحظة الأخيرة، الواحدة تلو الأخرى، مثل المشاهد التي تظهر على الأسطوانة الخارجية لأحد تلك الفوانيس الدوّارة القديمة. يمكنني أن أسمع صوتاً يوبّخني بشدة على الذنوب التي اقترفتها، ويقول كم أنا صفيق لأنني أريد أن أموت بسلام - «من

الطبيعي أن تعاني هكذا، لأنك تستأهل ذلك». من الأفضل أن أتخلّى عن هذه الحقنة...

اليوم أحد. غائم، والمطر يهمي. كنت متعباً وأنا أناقش الأمر مع الآنسة ساساكي ثانية.

قالت: «حسناً، إذا ذهبت لرؤية الدكتور كاجيورا في الجامعة غداً، فإني سأخبره عن كلّ ما قاله الدكتور فوكوشيما، وأطلب منه رأيه. وبناء على نصيحته، يمكنك أن تأخذ الحقنة أم لا. ما رأيك؟»

ولهذا السبب وافقت.

## ٢٤ تشرين الأول (أكتوبر)

عادت الآنسة ساساكي في المساء. وقالت إن الدكتور كاجيورا قال إنه لا يعرف الدكتور فوكوشيما، لذلك، فإنه لا يريد أن يعطي رأيه في علاج ليس من اختصاصه. إلا أن رجلاً يحمل شهادة في الطب، وعضواً في الهيئة التدريسية في مستشفى الجامعة، لا بد أنه جدير بالثقة - ومن المؤكد أنه ليس مشعوذاً، ولا بد أنه سيتخذ جميع التدابير الوقائية، لذلك لماذا لا تضع ثقتك به وتطلب منه أن يفعل ذلك؟

كنت أعتمد سراً على عدم موافقة الدكتور كاجيورا، وهو أمر كان مريحاً جداً بالنسبة لي. أما الآن، فلم يعد هناك مخرج، ومن الواضح أنني لا أستطيع الهروب من قدري.

بينما كنت أفكر في هذه الأمور، كنت أحاول أن أجد عذراً لأن لا آخذ الحقنة. وفي هذه الأثناء، تم تحديد الموعد.

# ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر)

«سمعت ذلك من الآنسة ساساكي، لكن هل تظن أنها عملية آمنة؟» كان القلق بادياً على وجه زوجتي، وأضافت، «إني واثقة من أن صحتك ستتحسّن بعد فترة، دون أن تفعل شيئاً كهذا».

«إنها لن تقتلني حتى لو فشلت».

«ربّما لا، لكني لا أتحمّل أن أراك وأنت فاقد الوعي وكأنك ستموت في أي لحظة».

«وقد أموت وأنا لا أزال أتألم هكذا»، قلت بطريقة مأساوية.

«متى ستجريها؟»

«يقول المسؤولون في المستشفى إنني أستطيع الذهاب عندما أشاء. لكن كلما أسرعت في إجرائها، كان أفضل، لذلك سأذهب غداً».

«يا إلهي! إنك دائماً على عجلة من أمرك! انتظر قليلاً». خرجت وعادت مباشرة وهي تحمل تقويم قراءة الطالع. ثم قالت: «إن غداً يوم سيّئ، وبعد غد أسوأ. لكن الثامن والعشرين يوم ميمون - قم بإجرائها في الثامن والعشرين من الشهر».

«كيف يمكنك الإيمان بالخرافات هكذا؟ كلما بكّرت بإجرائها، كان أفضل، حتى لو كان أسوأ يوم». بالطبع كنت أعرف أنها ستعارض.

«لا، أرجوك قم بإجرائها في الثامن والعشرين، وسأرافقك أيضاً».

«ليس من الضروري أن ترافقيني».

«لكني أريد أن أرافقك».

حتى الآنسة ساساكي قالت إنها تشعر بالارتياح إن أنا أجّلتها.

## ٢٧ تشرين الأول/ أكتوبر

إن هذا اليوم هو واحد من «أسوأ أيام السنة». فحسب التقويم، من سوء الطالع أن تتحرك أو أن تفتح دكاناً، أو ما شابه ذلك. وسأذهب غداً إلى المستشفى في الساعة الثانية بعد الظهر، برفقة زوجتي، ومع الآنسة ساساكي والدكتور سوجيتا، وأزرق بالحقنة في الساعة الثالثة عصراً. وبما أن ألماً شديداً قد ألمّ بي في الصباح الباكر أيضاً، أخذت حقنة من بيرابيتال. وعاد الألم بشدة هذا المساء. أخذت تحميلة نوبولون، ثم حقنة أوبيستان. إني أستعمل هذا الدواء للمرّة الأولى - يقولون إنه دواء مسكّن، لكنه ليس مورفين. من حسن الحظ أن حدة الألم قد خفّت، ونمت جيداً. في الأيام القليلة القادمة، لن أكون قادراً على الكتابة، لذلك سأراجع سجلّ ساساكي وأدوّن يومياتي لاحقاً.

## ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر)

استيقظت في الساعة السادسة صباحاً. أخيراً حلّ اليوم المحتوم. كانت ضربات قلبي سريعة، فانتابني القلق. ولمّا طلبوا مني أن أظل هادئاً بقدر ما بوسعي، مكثت في السرير. تناولت طعام الفطور والغداء هنا. ضحكت الآنسة ساساكي عندما قلت لها إنني أريد شطائر من اللحم الصيني.

فقالت: «إن كنت تملك هذا القدر من الشهية للطعام، فلا قلق عليك». بالطبع لم أكن أقصد ذلك حقاً، بل كنت أحاول أن أبدو في نفسية جيدة. وعند الغداء، تناولت كوباً من الحليب الدسم، وشريحة من الخبز المحمّص، وعجة إسبانية، وتفاحة لذيذة، وكوباً من الشاي. كان يخيّل إليّ أنني قد أرى ساتسوكو إذا نهضت وذهبت إلى غرفة الطعام، لكن الآنسة ساساكي قالت إنني يجب ألا أفعل ذلك، ولم ألحّ في ذلك. ثم أخذتُ غفوة لمدة نصف ساعة، مع أنني لم أستطع النوم بشكل جيد وطبيعي.

وصل الدكتور سوجيتا في الساعة الواحدة والنصف. فحصني بسرعة وقاس ضغط دمي. غادرنا في الساعة الثانية.

جلستُ بين الطبيب وزوجتي، وجلست الآنسة ساساكي بجانب السائق. عندما كانت سيارتنا على وشك المغادرة، اقتربت ساتسوكو بسيارتها من طراز هيلمان.

«أبتي!» نادتني ساتسوكو بعد أن أوقفت سيارتها، «إلى أين أنت ذاهب؟»

«إلى المستشفى لآخذ حقنة. سأعود بعد حوالى ساعة».

«هل ستذهب ماما معك؟»

«تظن أنها ربما كانت مصابة بسرطان المعدة، وتريد أن تجري فحصاً. إنها مجرد أعصابها».

«طبعاً إنها أعصابها».

«لكن ساتسو»، بدأت أقول، لكنني سرعان ما صحّحت نفسي، «ساتسوكو، إلى أين أنت ذاهبة؟»

«إلى السينما - يجب أن تعذرني اليوم». تذكّرت فجأة أن هاروهيسا لم يأت منذ فترة، بعد بدء موسم الأمطار.

«ماذا ستشاهدين؟»

«تشابلن في فيلم الدكتاتور العظيم».

انطلقت سيارة هيلمان أمامنا، وسرعان ما غابت عن أنظارنا.

لم يكن يتعين عليّ أن أبلغ ساتسوكو بما سأفعله اليوم، لكن لا بد أن زوجتي أو الآنسة ساساكي قد أخبرتاها. لعلها كانت تتظاهر بالبراءة، وانتظرت حتى أغادر في هذا الوقت حتى تدخل البهجة إلى نفسي. بل ربما طلبت منها زوجتي أن تفعل ذلك. في جميع الأحوال، سعدت برؤيتها. إنها خبيرة في التمثيل والتصنّع، وقالت ذلك بأسلوبها الواثق المعتاد . . . أحسست بوجود كتلة في حنجرتي، عندما فكرت أن كلّ ذلك ربما كان بسبب قلق زوجتي عليّ.

وصلنا إلى المستشفى في الوقت المحدد، ونُقلت على الفور إلى غرفة عُلّقت على بابها بطاقة كتب عليها اسمي: «السيد أوتسوغي توكوسوكي». يبدو أنني قُبلت في المستشفى رسمياً اليوم، ثم أجلسوني على كرسي متحرك، وساروا بي في ممر طويل من الخرسانة إلى غرفة الاشعة. دخل الدكتور سوجيتا والممرضة ساساكي وزوجتي. ولمّا كانت زوجتي شديدة البطء في سيرها، فقد راحت تلهث وهي تحاول اللحاق بي. أتيت وأنا أرتدي ثوباً يابانياً، لأنه خيّل إليّ أن ذلك سيكون أسهل بالنسبة لي. وبمساعدة زوجتي جردوني من ثوبي وعرّوني، ثم وضعوني على لوح خشبي صلب أملس، وراحوا يحركوني في وضعيات مختلفة. في الأعلى، كان هناك صندوق فيه كاميرا كبيرة تتدلى من السقف، تمّ تعديلها حتى

أصبحت في وضعية تلائم جسدي تماماً. ولمّا كانوا يعالجون جهازاً كبيراً معقّداً من بعيد، فيجب أن يكون دقيقاً ضمن مسافة مليميتر واحد، وقد استغرق إنزال الكاميرا فترة طويلة حتى تصبح مركزة على الهدف تماماً. كان اللوح الخشبي بارداً بعض الشيء، لأننا في أواخر تشرين الأول (أكتوبر)، وكانت يدي لا تزال تؤلمني. ربما كان التوّتر غير العادي، لا البرد ولا الألم، هو الذي كان يزعجني.

أُخذت صور لظهري ورقبتي من جميع الزوايا أولاً، عندما استلقيت على جانبي الأيسر، ثمّ على جانبي الأيمن، ثمّ منبطحاً وفي كلّ مرة، كان يجب إعادة تعديل الكاميرا قبل أن يطلب مني أن أحبس أنفاسي ثانية. كان ذلك يكاد يشبه ما حدث في ذلك اليوم عندما كنت في مستشفى تورانومون.

أعادوني إلى غرفتي، وساعدوني على الصعود إلى السرير. أحضروا صورة الأشعة بعد تحميضها وكان الفيلم لا يزال مبللاً. بعد أن فحصها الدكتور فوكوشيما بعناية، أعلن أنه سيواصل عملية الحقن، وكان يمسك بيده إبرة مليئة بالزلوكين.

قال: «تعال إلى هنا من فضلك، لأن ذلك سيسهل الأمر».

«حسناً» غادرت السرير ومشيت عبر الغرفة بثقة وثبات بقدر ما بوسعي، ووقفت قبالته بالقرب من النافذة.

«الآن، أصبحنا جاهزين للحقنة. لا تخشى شيئاً، فلن تشعر بأيّ ألم».

«لست خائفاً. أرجوك إمض في عملك».

«جيد».

أحسست بالإبرة وهي تنسل داخل رقبتي. فقلت لنفسي، إذاً هذا

هو كلّ ما في الأمر. لم أشعر بأي ألم. إني متأكد من أنني لم أشحب، ولم أرتجف. يمكنني القول إنني حافظت على رباطة جأشي؛ ومع أنني كنت على استعداد لمواجهة الموت، لم يبد أنني سأموت. سحب الدكتور فوكوشيما الإبرة ثانية ليفحصها قبل أن يزرقني الحقنة الحقيقية، ليتأكد من عدم وجود نزف. فهذه ممارسة متّبعة في جميع أنواع الحقن، حتى حقن الفيتامينات، لكي لا يتسرب سائل إلى الأوعية الدموية. إن الطبيب الحريص يتّخذ هذا الإجراء الوقائي على الدوام، وبالطبع فإن الدكتور فوكوشيما يفعل ذلك في الحالات الخطيرة كحالتي.

لكنه فجأة بدا مرتبكاً. ثم قال: «لن ينفع ذلك. لقد حدث خطأ - لم يحدث أنني لمست أي وعاء دموي في جميع الحالات التي استخدمت فيها هذه الحقن، لكن انظر هنا، أترى الدم؟ لا بد أنني ثقبت وعاء شعرياً».

«إذاً، هل ستحاول مرة أخرى؟»

«يمكننا أن نفعل ذلك غداً. إني آسف لأنني سأطلب منك أن تأتي مرة أخرى، لكن غداً لن تعترضنا أيّ مشكلة. هذه هي أول مرة يحدث لي ذلك».

أحسست بشيء من الارتياح لأن مصيري تأجّل. لقد أُنقذت حياتي اليوم! قلت لنفسي بامتنان. لكني كنت أفضّلُ أن أنهي الأمر الآن، سواء أعشت أم متّ، بدلاً من الانتظار حتى الغد.

«إنه حذر للغاية»، همست الآنسة ساساكي، «ألا يمكنه المضي فيها حتى لو خرج قليل من الدم؟»

«لا، كلّ هذا يضيف إلى رصيده»، قال الدكتور سوجيتا، «الكل

يريدون إنهاء الأمر. فبعد أن استدعى طبيب تخدير وقام بكلّ الاستعدادات الأخرى، فليس من السهل التوقّف لمجرد رؤية نقطة دم. إن عمله هذا يثبت أنه طبيب جيد. يجب على الأطباء جميعاً التحلي بهذه الروح. لقد تعلّمت الكثير من هذه العملية».

حدّدت موعداً آخر، وعدنا إلى البيت في الحال. وحتى في السيارة، لم يتوقف الدكتور سوجيتا عن امتداح موقف الدكتور فوكوشيما؛ بينما كررت الآنسة ساساكي أنه كان عليه أن يواصل العملية. وفي النهاية، اتفقا على أن الإفراط في الحذر هو المشكلة، وأنه ما كان عليه أن يتوتر، وأن يقلق كثيراً بشأن التمهيدات.

أرادت زوجتي أن أتخلّى عن الفكرة برمتها، وقالت: «إن ثقب شريان أمر في غاية الخطورة، وإني لم أوافق على إجرائها منذ البداية».

يبدو أننا وصلنا إلى البيت قبل وصول ساتسوكو. كان كيسوكي يلعب مع ليزلي أمام بيت الكلب.

تناولت طعام عشائي في غرفة نومي أيضاً، وطلب مني أن أرتاح. بدأت يدي تؤلمني ثانية.

## ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر)

اليوم غادرت البيت في الساعة نفسها التي غادرته فيها البارحة، برفقة الأشخاص ذاتهم، ولسوء الحظ، كانت النتائج ذاتها أيضاً. فللمرة الثانية، ثقب الدكتور فوكوشيما أحد الأوعية الدموية. ظهرت بقعة دم على الإبرة. بدت عليه علائم الاستياء، فبعد كل التحضيرات

التي أعدها بدقة شديدة، إلى حد أننا شعرنا بالأسف من أجله. ناقشنا المسألة معاً، وقررنا آسفين التخلي عن هذه العملية حالياً. وبدا أن الدكتور فوكوشيما نفسه لم يكن راغباً في إجراء محاولة ثانية، والمجازفة في محاولة فاشلة أخرى. في هذه المرة أحسست بارتياح حقيقي.

عدنا إلى البيت في الساعة الرابعة. رأيت سلة من الأزهار الجديدة في الكوة في غرفتي: أزهار القطيفة والأقحوان رتّبها روكانسي. لا بد أن معلّم ترتيب الزهور من كيوتو قد جاء اليوم. هل بذلت ساتسوكو جهداً خاصاً لتكون لطيفة مع حميها العجوز. هل خطر لها أن هذه الأزهار ستدخل البهجة إلى نفسي لأتماثل للشفاء بسرعة؟ حتى أن اللفافة المعلقة على الحائط بريشة لافو قد استبدلت، وحلت محلها لوحة بريشة سوجا تاتيهيكو - صورة ضيّقة طويلة تصوّر منارة مضيئة. وغالباً ما يضيف تاتيهيكو رسوماً إلى قصائده باللغة الصينية أو اليابانية، كتبت عليها قصيدة لمانيوشو عمودياً بخطّ واحد تقول:

أين هو حبيبي اليوم؟
هل يجتاز جبالاً بعيدة،
وحيداً كعشبة بحرية تجرفها الأمواج عن الشاطئ؟

## ٩ تشرين الثاني (نوفمبر)

مضت عشرة أيام على زيارتي الأخيرة للدكتور فوكوشيما، وقد بدأت أشعر أخيراً بالتحسن، كما قالت زوجتي بأنني سأتحسّن. إني

أعتمد على دواء نيو غريلين وسيدز لمساعدتي على الشفاء، لكن يا للدهشة ، فحتى الأدوية ذات الامتياز لم تعد فعّالة الآن. في هذه المرحلة، أظن أنني يجب أن أذهب لأبحث عن مكان أدفن فيه. فذلك يشغل بالي منذ الربيع الماضي - وأليست هذه فرصة جيدة لأقوم برحلة إلى كيوتو؟

## ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر)

«هل تريد أن تذهب في رحلة عندما تتحسن صحتك»، قالت زوجتي، «فيم العجلة؟ ماذا لو بدأت يدك تؤلمك وأنت في القطار؟»

«لكنها تحسنت بعض الشيء، ونحن في العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) - وكما تعرفين فإن الشتاء يحلّ مبكراً في كيوتو».

«هل يوجد سبب يدعوك إلى عدم الانتظار حتى الربيع؟»

«لا يمكن تأجيل هذا الأمر. فلعلها آخر مرة أرى فيها كيوتو».

«ها قد عدنا إلى هذا الضرب من الحديث!... من تريد أن تأخذ معك؟»

«سأذهب وحدي مع الممرضة فقط، لذلك أظن أني سآخذ ساتسوكو معي». في الحقيقة كان هذا هو الهدف الرئيسي لرحلتي. ولم يكن البحث عن قبر لي سوى ذريعة.

«ألن تمكث في بيت إتسوكو، في نانزينجي؟»

«سيكون هذا كثيراً جداً لأن الآنسة ساساكي ستكون هناك؛ وتقول ساتسوكو إنها لا تفضل الذهاب إلى هناك، وإنه يكفيها ما نالها في ذلك البيت».

«على أي حال، إذا ذهبت ساتسوكو إلى هناك، فإن شجاراً آخر سينشب».

«سيكون من الممتع رؤية إحداهما تشدّ شعر الأخرى».

جعلها ذلك تبدأ حديثاً في موضوع آخر.

«بمناسبة الحديث عن نانزينجي، لا بد أن أشجار القيقب في معبد آيكاندو أصبحت تبدو جميلة الآن. أتساءل كم سنة مضت على زيارتي إلى ذلك المكان».

«لا يزال الوقت مبكّراً على أشجار الآيكاندو. في هذا الوقت من السنة، تكون في أفضل أحوالها في تاكاو، لكن نظراً لوضع ساقيّ فإني لا أظن أنني أستطيع أن أتجول لأرى أوراق الخريف هذه السنة».

## ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر)

انطلقت بالقطار السريع في الساعة الثانية والنصف ظهراً إلى كيوتو. ودعتنا زوجتي وأوشيزو ونومورا في المحطة. جلست إلى جانب النافذة، وجلست ساتسوكو إلى جانبي، وجلست الآنسة ساساكي على المقعد بالقرب من الممر قبالتها. لكن عندما بدأ القطار يتحرّك، قالتا إن تياراً يهبّ عليّ، وطلبتا مني أن أجلس في المقعد الآخر بجانب الممر. لسوء الحظ، بدأ الألم في يدي يشتد. أحسست بالعطش، وطلبت من الصبي أن يجلب لي كوباً من الشاي، وخلسة، ابتلعت قرصين من السيدز كنت قد وضعتهما سراً في جيبي لهذا الغرض. كنت أعرف أن ساتسوكو أو الآنسة ساساكي

ستتضايقان إذا رأتني إحداهما وأنا أتناولها. قبل أن نغادر، كان ضغط دمي ١٥٤ على ٩٣، لكن بعد أن صعدت إلى القطار أحسست بالإثارة. لا بدّ أن مرد ذلك لأنه أتيحت لي فرصة الجلوس إلى جانب ساتسوكو لأول مرة منذ أشهر، حتى لو كان عليّ أن أتحمل وجود شخص ثالث، ولأنها خرجت بطريقة استفزازية غريبة. (فقد كانت ترتدي ثياباً عادية، لكن بلوزتها كانت مبهرجة، وكانت تتدلى من صدرها قلادة فرنسية مكوّنة من خمسة خيوط من الجواهر التقليدية. مع أنك غالباً ما ترى قلائد يابانية مشابهة، وكان لهذه القلادة مشبك مرصّع بجوهرة متقنة الصنع، شيء لا يستطيع أحد تقليده هنا.

عندما يرتفع ضغط دمي، فإني أضطر للتبول كثيراً، مما يزيده ارتفاعاً. ولا أعرف تماماً أيهما يسبّب الآخر. توجهت إلى دورة المياه مرة قبل بلوغنا يوكوهاما، ومرة أخرى قبل أن نبلغ أتانو، رحت أترنح وأنا أسير في الممر الطويل. كانت الآنسة ساساكي ترتعد خوفاً وهي تتبعني. واستغرقتُ وقتاً طويلاً في التبوّل، وفي زيارتي الثانية، مكثت في دورة المياة حتى اجتزنا نفق تانا. وفي طريق عودتي، كدت أقع عندما كنت أجتاز العربة، فتشبثت بكتف أحد المسافرين.

«هل ضغط دمك مرتفع؟» سألتني الآنسة ساساكي عندما عدنا وجلسنا في مقاعدنا، وانحنت لفحص نبضي. أبعدت يدها عني بسخط.

تكرر ذلك عدة مرات، حتى وصلنا إلى كيوتو في الساعة الثامنة والنصف مساء. كانت إتسوكو وولداها، كيكوتارو وكيجيرو، بانتظارنا على رصيف المحطة.

«من اللطف أن تأتي أنتِ وابنيك إلى المحطة». كانت ساتسوكو مهذبة إلى درجة لا تصدق.

«لا، أبداً، من دواعي سرورنا أن نفعل ذلك».

إن السير على الجسر فوق المسارات في محطة كيوتو يحتاج إلى الكثير من التسلّق المزعج، فقرفص كيكوتارو وأعطاني ظهره، وقال: «سأحملك وأصعد بك الدرج يا جدّي».

«هراء! لم أصبح ضعيفاً إلى هذه الدرجة بعد». لكنني شعرت بالسعادة لأن الآنسة ساساكي أخذت تدفعني من الوراء. وبدافع من الكبرياء، أرغمت نفسي على مواصلة السير، من دون أن أتوقف لنيل قسط من الراحة؛ وقد أشعرني هذا الجهد بضيق شديد في التنفس، وكان الجميع يراقبونني بقلق.

«إلى متى ستمكث هذه المرة؟»

«أظن أنني سأمكث أسبوعاً على الأقل. أريد أن أمضي ليلة في بيتك أيضاً، لكنني سأقيم حالياً في فندق كيوتو».

كانت في الجناح في الفندق غرفة فيها سرير كبير وسرير صغير. هذا ما كنت قد طلبته عندما حجزنا الغرفة.

«آنسة ساساكي، هل ستنامين في الغرفة المجاورة؟ سأنام مع ساتسو في هذه الغرفة». وقد تقصدت أن أدعوها «ساتسو» أمام الجميع. بدت نظرة غريبة على وجه إتسوكو.

«أريد الغرفة الأخرى»، قالت ساتسوكو معترضة، «اطلب من الآنسة ساساكي أن تنام هنا يا أبتي».

«ما الضير في أن تنامي معي في الغرفة نفسها؟ ألم تنامي معي في الغرفة نفسها في البيت في طوكيو؟» قلت ذلك لصالح إتسوكو.

«ستكون الآنسة ساساكي قريبة منك إذا احتجت إليها، لا يوجد ما يدعو للقلق. أرجوك يا ساتسو، نامي هنا».

«لن أستطيع أن أدخّن».

«طبعاً يمكنكِ أن تدخّني! دخّني كما تشائين».

«إن دخّنت فإنهم سيوبخونني -».

«لأن نوبات سعال تنتابه»، قالت الآنسة ساساكي، «وإذا دخّنت في وجوده، فلن يتوقّف عن السعال والاختناق».

«أيها الحمّال، اجلب تلك الحقيبة إلى هنا من فضلك».

تجاهلتني ساتسوكو وهرعت إلى الغرفة الأخرى.

«ألم تعد يدك تؤلمك؟» كانت إتسوكو خائفة منذ وصولنا، لكنها تمكنت أخيراً من قول بضع كلمات.

«بالتأكيد لا! إنها تؤلمني على الدوام».

«حقاً؟ إن رسالة ماما تقول إنك على ما يرام».

«هذا ما قلته لها! وإلا لما سمحت لي بالمجيء».

عادت ساتسوكو بعد أن وضعت لمسة من المكياج على وجهها بسرعة، وارتدت بلوزة أخرى، ووضعت قلادة لها ثلاثة خيوط من اللؤلؤ، وقالت: «إني أتضور جوعاً يا أبي! لنذهب إلى المطعم مباشرة».

قالت إتسوكو إنها أكلت هي وأطفالها، لذلك جلسنا نحن الثلاثة فقط إلى المائدة. طلبت زجاجة نبيذ الراين لساتسوكو. وبعد انتهاء وجبة الطعام، تجاذبنا جميعاً أطراف الحديث في الردهة لمدة تقارب الساعة.

«هل يمكنني أن أدخّن سيجارة بعد العشاء؟» سألت ساتسوكو

الآنسة ساساكي، وأخرجت علبة سجائرها من نوع «كوولس» من حقيبتها اليدوية، ثم أضافت، «لن يكون الدخان سيئاً إلى هذه الدرجة».

لدهشتي أخرجت أيضاً حامل سيجارة طويلاً رفيعاً قرمزي اللون. وكان طلاء أظافرها أحمر، أغمق مما اعتادت على طليه، وكان أحمر شفاهها بهذا اللون أيضاً، وكانت أصابعها تبدو شديدة البياض على نحو مدهش. لعلها كانت تنوي إبراز التناقض بين اللونين لإتسوكو.

## ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر)

في الساعة العاشرة صباحاً ذهبت لزيارة إتسوكو وأسرتها، مع ساتسوكو والآنسة ساساكي. قالوا إنني كنت قد زرت هذا البيت في السابق، لكني أجد صعوبة في تذكر ذلك. كنت أزورهم غالباً في يوشيداياما عندما كان زوجها لا يزال على قيد الحياة، لكني لم أر إتسوكو وابنيها منذ أن انتقلوا إلى منطقة نانزينجي.

اليوم، ذهب كيكوتارو للعمل في أحد المخازن الكبيرة، أما كيجيرو، الذي يدرس الهندسة في جامعة كيوتو، فقد بقي في البيت. قالت ساتسوكو إنها ستشعر بالملل إن هي رافقتني للبحث عن مدفن لي، وإنها لا ترغب في الذهاب، وقالت إنها ستغادر الآن لشراء بعض الأشياء من السوق في وسط المدينة. وقالت إنها تريد أن ترى أوراق الأشجار في الخريف في تاكاو، لكنها تكره أن تذهب وحدها - وتساءلت هل بإمكان أحد أن يصطحبها إلى هناك؟ فتطوّع كيجيرو،

وقال إن رؤية أوراق الخريف أفضل من رؤية المدافن. وقررتُ أنا وإتسوكو والآنسة ساساكي أن نتناول غداء خفيفاً في مطعم هيوتي ثم ننطلق لزيارة عدّة معابد، بدءاً بهونينين. وكانت الخطة هي ان تلحق بنا ساتسوكو وكيكوتارو إلى إحدى الحانات في ساغا في المساء، حيث يمكننا تناول العشاء معاً.

يبدو أن أسلافي كانوا تجاراً منذ عهد بعيد في في إقليم أومي، الذي لا يبعد كثيراً عن كيوتو؛ لكن منذ الأجيال الأربعة أو الخمسة الأخيرة من أسرتي كانت تعيش في إيدو، حيث ولدت في حي هونجو القديم، لذلك فأنا مواطن حقيقي من إيدو - وتضرب جذوري عميقة في ماضي المدينة قبل أن يتغيّر اسمها إلى طوكيو، مع أنني لا أحبّ طوكيو اليوم، وأشعر بحنين أكبر إلى كيوتو التي تملك نوعاً من السحر الذي يذكّرني كيف كانت طوكيو. من الذي جعل طوكيو مدينة فوضوية بائسة هكذا؟ أليسوا جميعاً سياسيين أجلافاً تربوا في المدينة ولا يدركون خصائص مدينة طوكيو القديمة الجيدة ؟ أليسوا هم أنفسهم الذين حوّلوا قنواتنا الجميلة، وجعلوها خنادق موحلة، ولم يكونوا يعرفون أن الأسماك الصغيرة تسبح في نهر سمنيدا؟ ويخيّل إليّ أنهم لا يكترثون في أي مكان يرقد جثمانك عندما تموت. وأنا أمقت الفكرة بأن أدفن في مكان قبيح مثل طوكيو، مكان فقد كلّ معنى بالنسبة لي. حتى أنني كنت أتمنّى لو تمكنت من نقل مدافن آبائي وأجدادي إلى مكان آخر، لأنهم لم يعودوا يرقدون في الأماكن التي كانوا قد دفنوا فيها أصلاً. فقد أزعجوا عظام جدي وجدتي مرّتين: مرّة عندما نُقل معبدهما من فوكاجاوا إلى أساكوسا لأنهم حولوا الحيّ برمته إلى منطقة صناعية،

والمرّة الثانية، عندما احترق المعبد خلال الزلزال الكبير، ونقلوهما إلى مقبرة تاما؛ لذلك، يجب نقل المقابر في طوكيو على الدوام لتفادي خرابها. لذلك تُعتبر كيوتو من أكثر الأماكن أماناً. وفي جميع الأحوال، لا بدّ أن أسلافنا قد أتوا من المناطق المحيطة بكيوتو، وسيأتي أقربائي الذين يقيمون في طوكيو لزيارتي هنا في رحلات للمتعة. وسيقولون: «آه، إذاً هنا يرقد الرجل العجوز»، ويتوقفون لإشعال عود بخور أمام قبري، وهذا أفضل بكثير من أن أرقد في أرض أجنبية مثل مقبرة تاما تلك.

«إذاً أليست هونينين أفضل؟» قالت إتسوكو ونحن نهبط الدرج في معبد مانجوين، «لأن هذا المعبد يبعد كثيراً عن الطريق، وحتى في معبد كوروداني، فلن يصعدوا التلّ إلا إذا كانوا يقومون بزيارة خاصة له».

«هذا هو رأيي أيضاً».

«فقد أصبح معبد هونينين في وسط المدينة الآن، قريباً جداً من خطّ الترامواي، ويصبح في غاية الجمال عندما تتفتح الأزهار على أشجار الكرز المنتصبة على امتداد القناة، لكن ما إن تصبح في صمت ذلك المعبد حتى يغمرك إحساس بالهدوء. ويمكنني أن أقول إنه المكان الوحيد المناسب لك».

«لا أحبّ مذهب نيتشيرين، لذلك فإني لا أمانع في أن أعتنق مذهب الأرض النقية. هل تظنين أنهم سيدعونني أحصل على مدفن؟»

«لقد سألت كبير الكهنة عن ذلك قبل عدة أيام - فأنا أزوره كثيراً، لذلك فإني أعرفه جيداً. وقال لي إن من دواعي سروره أن

يرتب ذلك، وإنه لا يتعين عليك أن تكون من أتباع مذهب الأرض النقية».

توقفنا عن البحث عند تلك النقطة وتوجّهنا إلى الجانب الغربي من المدينة، ووصلنا إلى حانة ساغا قبل وصول الآخرين بفترة طويلة. فقدّموا لنا غرفة خاصّة لنرتاح فيها ريثما يصل الآخرون. ووصل أخيراً كيكوتارو، ثم وصلت ساتسوكو وكيجيرو بعد الساعة السادسة والنصف.

قالت ساتسوكو إنهما عادا إلى فندق كيوتو في هذه الأثناء، وسألت هل كنّا ننتظر منذ فترة طويلة.

«طبعاً! لماذا لم تأتيا مباشرة إلى هنا؟»

«أحسست أن الطقس يزداد برودة، لذلك أردت أن أبدّل ثيابي. يجب أن تكون حذراً يا أبي».

لا شكّ أنها كانت تريد أن تجرّب الثياب التي اشترتها من وسط المدينة، فقد كانت ترتدي الآن بلوزة بيضاء وكنزة زرقاء موشاة بخيوط من الفضة. وقد بدّلت خاتمها أيضاً، ولسبب ما كانت تضع ذلك الخاتم السيّئ السمعة «عين الهرة».

«هل اخترت مقبرة؟»

«أظن أنني اتخذت قراري بشأن المدفن في هونينين. يبدو أن المشرفين على المعبد لا يمانعون».

«جميل. حسناً، متى نعود إلى طوكيو؟»

«لا تكوني سخيفة! ليس الأمر بهذه البساطة - بعد ذلك سيكون لي حديث طويل مع الحفّار لتحديد نموذج شاهدة القبر التي أريدها».

«لكن يا أبتي، ألم أرك تبحث في كتاب التماثيل ذاك؟ قلت إنك تريد بناء هيكل صغير خماسي الأجنحة».

«بدأت أغيّر رأيي مرة أخرى - لست متأكداً إن كان يجب أن يكون نوعاً من الهيكل».

«لا توجد لديّ أدنى فكرة عما يجب أن يكون. على أي حال، لا علاقة لي بذلك».

«لا، لك علاقة يا ساتسو -»، تردّدت، ثم قلت: «ساتسوكو، إن الأمر يعينيك كثيراً».

«كيف؟»

«ستعرفين قريباً».

«على أي حال، أرجو أن تتمكن من اتخاذ قرار حيال ذلك، حتى نتمكن من العودة إلى طوكيو».

«لماذا أنتِ مستعجلة إلى هذه الدرجة؟ لكي تحضري مباراة ملاكمة؟»

«شيء من هذا القبيل».

كان الآخرون جميعاً - إتسوكو وكيكوتارو وكيجيرو والآنسة ساساكي - يحدّقون بالخاتم بإصبع يدها اليسرى. لكن ساتسوكو، كدأبها، لم تأبه بنظراتهم. كانت تجلس وهي تضع يدها اليسرى حتى تظهر عين القطة البراقة.

«الخالة ساتسوكو»، قال كيكوتارو، وقد كسر الصمت المشوب بالتوتر، «هل هذه المجوهرة هي التي يسمونها عين الهر؟»

«هذا صحيح».

«هل حجرة كهذه تكلّف ملايين؟»

«حجرة كهذه، كما قلت، ثمنها ثلاثة ملايين ينّ!»

«إنك رائعة يا خالتي ساتسوكو، لأنكِ نجحتِ في جعل جدي ينفق ثلاثة ملايين ينّ».

«إسمع يا كيكوتارو، أرجو أن تكفّ عن مناداتي «خالتي»، لأنك لم تعد طفلاً، ولا يحقّ لك أن تعاملني وكأنني امرأة متوسطة العمر، فلا يوجد فرق بيننا سوى سنتين أو ثلاث سنوات».

«إذاً بماذا أناديك؟ مهما كنتِ شابة فإنك لا تزالين خالتي، كما تعرفين».

«فقط قل 'ساتسو'، أنت وكيجيرو، وإلا فلن أردّ عليكما».

«قد يكون هذا الأمر جيداً يا خالتي ساتسوكو. . . أنا آسف، لقد خرجت مني عفواً مرة أخرى، لكن ألن يزعل خالي جوكيشي؟»

«لماذا يزعل؟ إذا زعل سأغضب منه».

«ربما كانت 'ساتسو' تعني الأب، لكني لا أريد أن يرفع أولادي الكلفة كثيراً»، قالت إتسوكو، عابسة، «لنفترض أنهم يدعونك ساتسوكو بدلاً من ذلك، فهذا يبدو أفضل بقليل».

يحظر عليّ احتساء الخمر، وإتسوكو شاربة سيئة، ورفضت الآنسة ساساكي أن تحتسي شيئاً، مع أنها كانت ترغب في احتساء القليل منه، لكن ساتسوكو والصبيين جعلا منها حفلة مفعمة بالحيوية. ولم ننه عشاءنا حتى الساعة التاسعة تقريباً. ودّعت ساتسوكو إتسوكو وابنيها عند البيت وعادت إلى الفندق. ولما كان الوقت متأخّراً، فقد أمضيت أنا والآنسة ساساكي الليلة في الحانة.

## ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر)

استيقظتُ في الساعة الثامنة صباحاً. على الفطور تناولت طعاماً محليّاً خاصاً، وهو رائب فاصوليا ساغا. أخذت قليلاً منه إلى إتسوكو في حوالى العاشرة عندما أتيت إلى بيتها لنذهب لزيارة هونينين. اتصلت ساتسوكو ببيت الشاي «جيون» لدعوة بضع صديقات من الغيشا كانت قد التقت بهن في الصيف الماضي عندما كانت هنا مع هاروهيسا. كان من المزمع أن يتناولن طعام الغداء، ثم يذهبن إلى السينما معاً، ثم ترافقهن هذه الليلة إلى ملهى ليلي.

عرفتني إتسوكو على كبير الكهنة في هونينين، وعلى الفور أطلعوني على مكان قبري المقترح. كان الهدوء يخيم على مجمّع المعبد الذي كان معزولاً، على الرغم من أنني كنت قد جئت إلى هذا المكان مرات عديدة قبل الآن، وكان من المدهش أن يخطر لي أننا كنّا في مدينة عظيمة. وبإلقاء نظرة واحدة، يمكنك أن تعرف أنه لا يوجد شيء يشبه كومة القمامة المقلوبة تلك في طوكيو. إني سعيد لأن قراري وقع على هذا المكان. في طريق عودتنا، توقّفت أنا وإتسوكو لتناول طعام الغداء في مطعم تانكورنا. وصلنا إلى الفندق حوالى الساعة الثانية. وفي الساعة الثالثة جاء كبير الحجّارين في المعبد، الذي يبدو أن كبير الكهنة قد أخبره. تحادثنا في البهو. كانت إتسوكو والآنسة ساساكي هناك أيضاً.

كنت لا أزال متردداً في شكل شاهدة القبر التي أريدها، فبعد أن تموت، لا يهمك ما نوع الحجر الذي ترقد تحته، ومع ذلك، كان القلق لا يزال يساورني، ولم يكن يعجبني أي نوع من الحجارة.

فعلى الأقل، لم يكن يعجبني نوع الحجر العادي الذي يستخدمه حالياً جميع الناس: كتلة مسطحة، ملساء، مستطيلة، منقوشة، تنتصب فوق قاعدة واطئة، لها فتحة لإشعال البخور وفتحة أخرى لإدخال الماء. لا ريب في أنني يجب أن أعتمد الأسلوب التقليدي المتّبع في عائلتنا، لكنني صممت على هيكل له خمسة أجنحة. ليس من الضروري أن يكون مشيداً على الطريقة التلقيدية القديمة، قلت لنفسي، وأظن أن أسلوب كاماكورا القديم جيد. يمكنني أن أطلب واحداً بنموذج الهيكل ذي الأجنحة الخمسة في معبد أراكوجو في فوشيمي، الذي يصفه كاواكاتسو ماساتارو بأنه نصب نموذجي للفترة الانتقالية من عهد كاناكورا المتوسط إلى العهد المتأخر، حيث تضيق حلقة الماء فيه باتجاه الأسفل مثل جرّة، وتكون حلقة النار سميكة عند حافته المقوّسة، وله شكل يشبه فتحة الهواء، وفتحة الأثير، وورقة الشجر أو الزهرة المنحوتة عليها. وهناك الهيكل في معبد زينجوجي في أوجي الذي يقال إنه نموذج كلاسيكي من عهد يوشينو، وبأسلوب يبدو أنه ازدهر في كافة أرجاء منطقة ياماتو الثقافية.

لكن هناك فكرة أخرى تجول في رأسي أيضاً، إذ يتضمّن كتاب كاواكاتسو صوراً لأحجار أميدا الثلاثية الأضلاع الجميلة للغاية في معبد سيكيجوجي الواقع في شمال كيوتو: والشكل الرئيسي لأميدا بوذا وهو جالس، وخادما بوديساتفاس واقفين، كانون إلى اليمين، وسيشي إلى اليسار. ومع أن تمثال كانون مهترئ قليلاً، فإن تمثال سيشي يبدو في حالة ممتازة؛ وهو مزيّن كما هو تمثال كانون، تاج أمامي، وخطوط مرصّعة بالجواهر، ورداء سماوي، وهالة، وما إلى

ذلك، جميعها محفورة بشكل جميل، ومزهرية من الجواهر تظهر في مقدمة التاج، وينتصب التمثال ويداه معقودتان في وضع صلاة. «نادراً ما يرى المرء تمثال بوذا مصنوعاً من الغرانيت بهذا القدر من الجمال. . . ونقشت كتابة على ظهر التمثال في الوسط بأنه كُرِّس في السنة الثانية من عهد جينين (١٢٢٥)، لذلك فإنه يعتبر من الآثار الثمينة لأنه أقدم تمثال بوذي مدوّن عليه تاريخ محفور من كتلة حجرية واحدة، بما في ذلك القاعدة والهالة، ولأنه عمل يمكننا أن نتبين منه أسلوب كاماكورا البوذي المبكّر». عندما رأيت الزخرفة طرأت في بالي فكرة جديدة. ألا يمكنني أن أطلب أن يحفر وجه وجسد ساتسوكو على شاهدة قبري بالطريقة المحفور فيها بوديساتفا، لاستخدامها كنموذج سري مثل كانون أو سيشي؟ فلا توجد لديّ أي معتقدات دينية، وأيّ نوع من الإيمان يصلح لي. إن معبودي الوحيد الذي يمكن تخيّله هو ساتسوكو. فلا يمكن أن يكون هناك شيء أفضل من أن أرقد تحت رسمها.

لكن المشكلة تكمن في كيفية تحقيق هذه الرغبة. يمكنني أن أخفي هوية النموذج عن زوجتي وعن جوكيشي، وحتى عن ساتسوكو نفسها، بأن أحرص على ألا يكون الشبه واضحاً جداً، وأن يعطي الرسم صورة مبهمة عنها. ويمكنني أن أستخدم حجارة طرية عوضاً عن الغرانيت، وأن تُنحت هيئتها بطريقة ناتئة على نحو رهيف ورقيق بحيث لا تظهر ملامحها بقدر الإمكان، حتى لا يتمكن أحد من تبيّن وجه الشبه بينهما - لا أحد سواي. من المؤكد أن بالإمكان عمل ذلك، لكن الشيء الذي يشغل بالي هو أن النحّات سيعرف السرّ. من يجب أن أسأل؟ من يمكنه أن ينجز عملاً صعباً كهذا؟ فلا يستطيع أن

يقوم بذلك فنان متوسط المهارة، ولسوء الحظ لا يوجد نحّات واحد بين أصدقائي. لنقل إنه يوجد لديّ صديق كهذا، وإن صديقي كان ماهراً للغاية، فإني أتساءل هل سيقبل أن يفعل عن طيب خاطر عندما يعرف الهدف الحقيقي من طلبي هذا. هل سيكون سعيداً لمساعدتي في تحقيق هذا المخطط الكافر؟ أليس من المرجح أن يرفض رفضاً باتاً؟ (لا لأنني لا أملك الشجاعة الكافية لطلب مثل هذا الطلب الصفيق. وسيكون من المحرج إذا ظن أن الرجل العجوز قد بلغ مرحلة الجنون).

بعد الإمعان في هذا الأمر طويلاً خطرت لي فكرة محتملة. فلا يمكن إلا لشخص خبير أن ينحت تمثال بوديساتفا بطريقة نافرة، لكن النحت بخطوط سطحية قد يكون ضمن إمكانيات أي حرفي عادي. ويصف كاواكاتسو عملاً من هذا النوع أيضاً «تماثيل بوذا المربعة الأضلاع المنحوتة في الحجر»، في ضريح إماميا الواقع في الحي الشمالي الغربي من كيوتو. «تماثيل بوذا ذات الاتجاهات الأربعة المنحوتة على الوجوه الأربعة لكتلة بحجم قدمين مربعين من حجر رملي لدن يُعرف باسم «حجر كارو النهري»، المكرّس في السنة الثانية من عهد تنجي (١١٢٥)، وهو أحد أهم التماثيل المؤرّخة في فترة مبكرة من النحت البوذي في اليابان». ويورد الكتاب نماذج من تماثيل بوذا الأربعة الجالسين - أميدا وساكيا وياكوشي وميروكو. بالإضافة إلى ذلك، يظهر كاواكاتسو نموذجاً عن سيشي بوديساتفا من أميدا الثلاثي المنحوت في كتلة حجرية واحدة. «كما هو مبين في لوحة أخرى، يمثل الثالوث أميدا الخلاص مع خادم بوديساتفا، ومحفور من ثلاثة جوانب لكتلة طبيعية طويلة من الحجر الرملي

القاسي؛ هذا الجانب، المحفوظ بشكل أفضل من الثلاثة، له شكل جميل لبوديساتفا سيشي يعوم متجهاً نحو الأرض من فوق غيمة. جاثياً بيدين معقودتين في وضع الصلاة، رداءه السماوي يصفق في الريح، يخلق التمثال أجواء عهد هيان المتأخرة عندما يكون فنّ تمثيل أميدا المخلص وخادميه في أوج ازدهاره»، وتماثيل بوذا المختلفة جميعها جالسة وسيقانها معقودة بطريقة ذكورية، أما سيشي هذا فهو جاث برزانة مثل امرأة. لقد جذبني بوديساتفا هذا كثيراً.

## ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر)
## (تابع)

لست بحاجة إلى وضع تماثيل في جميع الجوانب الأربعة، بل يكفي وضع تمثال سيشي بوديساتفا واحد فقط. لذلك، فأنا لست بحاجة إلى كتلة مربّعة من الحجر، بل إلى مجرد حجرة ذات سماكة ملائمة لنحت بوديساتفا من الأمام، وحفر اسمي وتاريخ ولادتي وتاريخ وفاتي، وإذا دعت الضرورة، حفر اسمي بعد الوفاة، في الخلف. أتمنّى أن أعرف الأسلوب الذي سيستخدمه النحات بالإزميل. فعندما كنت أذهب إلى المعبد أثناء الأعياد عندما كنت طفلاً، كنت أجتاز عدداً من الأكشاك في الشارع التي تباع فيها التعاويذ، ونصال تشبه الإزميل الذي ينحتون بها اسم الطفل وعمره وعنوانه على سطح تعويذة نحاسية. ويستطيع هذا الإزميل إحداث خطّ رفيع للغاية. وإذا كان الأمر كذلك، فلا ينبغي أن يكون العمل في غاية الصعوبة.

وخطر لي أيضاً أنه بوسعي أن أفعل ذلك من دون أن يعرف النحات النموذج الذي أريد أن ينحته. وكان عليّ في البداية أن أعثر على رسام موهوب يجيد رسم الأشكال البوذية حول نارا، وأطلب منه أن ينسخ سيشي بوديساتفا الجاثي، تقليداً بعض الشيء لأسلوب تماثيل بوذا المنحوتة على ضريح إماميا؛ ثم يمكنني أن أريه صور ساتسوكو في وضعيات مختلفة، وأطلب منه أن يعيد رسم بوديساتفا كي يُلمح إلى وجه ساتسوكو وجسمها، عندها يمكنني أن آخذ التصميم إلى نحّات، وأطلب منه أن يرسمها على الحجر. وبهذه الطريقة أستطيع أن أتعرف على نوع بوديساتفا الذي أريده، من دون أن أشعر بالقلق من أن أحداً يمكن أن يعرف سرّي. ويمكنني أن أرقد إلى الأبد تحت صورة ساتسوكو بوديساتفا، تحت الشاهدة المنحوت عليها صورة ساتسوكو وعلى رأسها تاج، وتتدلى من صدرها قلادة مرصّعة بالجواهر، يكسوها رداء سماوي يتطاير مع الريح.

ومن الساعة الثالثة حتى الخامسة، رحنا أنا والنحّات، كانت إتسوكو والآنسة ساساكي تقفان إلى جانبنا، نتحدّث عن شاهدات القبر في بهو الفندق، وبالطبع لم أذكر اسم ساتسوكو، بل كان كلّ ما فعلته أنني عرضت ما اخترته من كتاب كاواكاتسو. ومع أنني أبهرتهم بمعرفتي بمعبديْ هيان وكاماكورا، وعن النحت البوذي، فقد أبقيت خططي المتعلقة بنحت ساتسوكو بوديساتفا سراً عميقاً دفيناً في قلبي.

«إذاً ما نوع الحجارة التي تفضّلها يا سيدي؟ في الحقيقة، لقد جعلتَ أي خبير يخجل من معرفته إزاء ما تعرفه، ولم يعد بوسعي أن أقول لك ماذا يجب أن تفعل».

«لم أقرر بعد. فقد خطرت في بالي الآن فكرة مختلفة قليلاً،

لذلك سأفكّر في الأمر لمدة يومين أو ثلاثة أيام ثم أطلب منك أن تأتي مرة أخرى. إني آسف لأنني جعلتك تنتظر كثيراً».

غادرت إتسوكو بعد ذهاب النحّات. عدت إلى غرفتي وأجريت تدليكاً.

بعد العشاء طلبت سيارة أجرة، بعد أن قررت بغتة أن أخرج من الفندق.

تملّك الفزع الآنسة ساساكي، وحاولت أن تنهيني عن الخروج، «إلى أين يمكنك أن تذهب في هذه الساعة؟ لقد أصبحت الأمسيات باردة الآن - ألا تستطيع أن تخرج غداً؟»

«لن أبتعد كثيراً. أريد أن أتمشى قليلاً».

«مجرد الفكرة ذاتها! تعرف كيف أن زوجتك حذّرتك من التعرض للبرد الشديد في الليل هنا».

«لكن يجب أن أشتري بعض الأشياء. تعالي معي، فلن نستغرق أكثر من عشر دقائق».

عندما ألححت على الذهاب، تبعتني الآنسة ساساكي ينتابها التوتر. كنت أنوي الذهاب إلى مكتبة لبيع القرطاسيّة في شارع نيجو شرق كاواراماتشي، لا تبعد أكثر من خمس دقائق من الفندق. عندما وصلنا، كان صاحب المكتبة، وهو صديق قديم لي، موجوداً. وبعد تبادل التحيات، اشتريت عوداً صغيراً من أفضل أنواع الحبر الصيني الأحمر البرتقالي بمبلغ ألفيْ ينّ. وأنفقت عشرة آلاف ينّ أخرى على شراء حجر حبر كوانجتانج الرائع المنقّط باللون الأرجواني الذي يقال إنه يخص المرحوم كوانو ليتسوجو، وعشرين صحيفة سميكة كبيرة من الورق الصيني الأبيض ذات حواف مذهبة.

«يبدو أنك في كامل صحتك كعهدك، بعد كل هذه السنوات».

«أنا كلّ شيء ما عدا أنني أتمتع بالصحة! لقد أتيت إلى هنا لأبحث عن مدفن لي قبل فوات الأوان».

«لا بد أنك تمزح! رجل بنشاطك وحيويتك أمامه حياة مديدة. . . الآن هل تريد شيئاً آخر؟ هل ترغب في الاطلاع على بعض لوحات الخطوط؟»

«في واقع الأمر، أريد شيئاً، إن كان متوفراً لديك».

«ما هو؟»

«قد يبدو غريباً، لكنني أريد بطانة حرير حمراء طولها قدمان وحشوة من القطن».

«لأي شيء تريد أن تستعملها؟»

«أريد أن أستعملها لدهن الحبر، لا بد أن يكون لديك شيئاً من هذا القبيل».

«سأطلب من زوجتي أن تبحث لك عن ذلك».

بعد عدة دقائق خرجت زوجته من المسكن القائم خلف الدكان حاملة قطعة الحرير الأحمر وحشوة القطن.

«هل تنفع هذه؟»

«حسناً، حسناً. يجب أن أذهب الآن. بكم أدين لك؟»

«لا شيء. يمكنك أن تأخذ كلّ ما تريد».

هذه المرة، بدت الآنسة ساساكي في غاية الارتباك.

«حسناً، لقد انتهيت. هيا بنا نعود».

استقللت السيارة في الحال، وعدنا إلى الفندق. كانت ساتسوكو لا تزال خارج البيت.

## ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر)

كان ينبغي أن أرتاح طوال اليوم في الفندق. فمنذ أن غادرت طوكيو، عملت بهمة ونشاط أكثر من المعتاد، بالإضافة إلى تجشم عناء تحديث يومياتي، لذلك، يجب عليّ أن أرتاح، كما أنني كنت قد وعدت الآنسة ساساكي بأن تأخذ اليوم عطلة؛ فهذه هي أول مرة تسافر فيها إلى منطقة كيوتو، وهي رحلة كانت تتطلّع إليها، وقالت إنها تريد أن تأخذ يوماً لنفسها لتشاهد معالم المدينة في نارا. ولأسباب خاصة بي، قررت أن تأخذ اليوم عطلة، وحرصت على إرسال إتسوكو معها كمرشدة لها.

بمعنى آخر، فقد حثثت إتسوكو على انتهاز هذه الفرصة للذهاب في نزهة، لأنها لم تزر نارا منذ مدة طويلة. وكانت إتسوكو تميل للمكوث في البيت، ولم تكن تخرج كثيراً حتى عندما كان زوجها على قيد الحياة. «على الأقل يجب أن تذهبي لرؤية معابد نارا»، قلت لها، «وخاصة الآن، وأنا أحاول أن أتخذ قراراً بشأن قبر عائلي جديد. لا بد أن تتعلّمي شيئاً مفيداً». استأجرت سيارة طوال اليوم، وقلت لهما أن تستخدماها جيداً. وقلت لهما: «توقّفا عند بيودوين في أوجي وأنتما في طريقكما إلى نارا، إذ يصعب زيارة أماكن كثيرة في يوم واحد، لكن إذا غادرتما في الصباح الباكر، وأخذتما معكما علبة غداء - كعكة الرزّ مع هامو، مثلاً - يمكنكما أن تنهيا زيارة معبد توداياجي عند الظهر، ثم تتناولا طعام الغداء في كشك الشاي أمام تمثال بوذا العظيم، ثم اذهبا إلى معبد شين- ياكوشيجي، ومعبد اللوتس غربي المدينة، ومعبد ياكوشيجي. لقد أصبح النهار قصيراً

الآن، لذلك يجب أن تشاهدا هذه المعالم في ضوء النهار، ثم نتناول العشاء في فندق نارا قبل عودتنا إلى كيوتو. أتوقّع عودتكما في وقت متأخر. لا تقلقا عليّ، تقول ساتسوكو إنها لن تخرج طوال اليوم».

في الساعة السابعة صباحاً، وصلت إتسوكو بالسيارة لزيارة الآنسة ساساكي.

وقالت: «مرحباً يا أبتي. إنك تستيقظ في وقت مبكر دائماً، أليس كذلك؟» وفكّت حزمتها القماشية ووضعت علبتين مغلفتين بغلاف من الخيزران على المنضدة الصغيرة، وقالت: «لقد جلبت قليلاً من كعك الرزّ مع هامو البارحة، لذلك جلبت لك ولساتسوكو بعضاً منه. يمكنكما تناوله على الفطور».

«هذا لطف منك».

«ألا تريدين شيئاً من نارا؟ ما قولك بالمعجنات المحليّة».

«لا أريد أي هدية، لكن احرصي على رؤية أحجار آثار قدميّ بوذا عندما تذهبين إلى ياكوشيجي».

«حجر آثار قدمي بوذا؟»

«هذا صحيح. إنها حجرة نقشت عليها آثار قدميّ ساكيا. فقد كانت إحدى معجزاته أنه سار فوق الأرض بأربع بوصات، وخلّف وراءه آثار عجلة كانت في باطن قدميه. ولم تصب الحشرات التي داس فوقها بأذى طوال سبعة أيام. وتجدين الأحجار التي حفرت عليها آثار الأقدام في الصين وكوريا أيضاً. وتوجد في اليابان حجرة منها في معبد ياكوشيجي في نارا. لا تضيّعي الفرصة».

«بالتأكيد. حسناً إذاً هيا بنا. سأعتني بالآنسة ساساكي وأرجو ألا تتعب نفسك يا أبتي».

«صباح الخير»، قالت ساتسوكو بعد أن دخلت من الغرفة المجاورة، وهي تفرك عينيها الناعستين.

«من المعيب أن أوقظك من نومك في هذا الوقت المبكر»، قالت الآنسة ساساكي معتذرة، «إني ممتنّة لك كثيراً لهذا اليوم»، ثم غادرت مع إتسوكو.

كانت ساتسوكو ترتدي رداء أزرق مبطناً، وصندلاً أزرق مطابقاً موشى بأزهار وردية اللون. وكانت تحمل وسادتها، وتجاهلت سرير الآنسة ساساكي، وارتمت على الأريكة، وسحبت رداء قديماً من القماش الصوفي المخطط فوق ساقيها، وتهيأت لتعود إلى النوم. استلقت على الأريكة وعيناها مغمضتان، وأنفها متجه مباشرة نحو السقف، ولم تعرني أي اهتمام. لم أكن واثقاً هل كانت لا تزال نعسة لأنها عادت في وقت متأخر من الملهى الليلي ليلة البارحة، أم أنها تتظاهر بذلك لكي لا أضجرها بحديثي.

غادرتُ السرير، وتغسلتُ، وطلبتُ شاياً أخضر، وتناولت كعكة الرزّ. ثلاث كعكات تكفيني لطعام الفطور. تناولت طعامي بهدوء، محاولاً عدم إزعاج ساتسوكو في نومها. وحتى بعد أن انتهيت، كانت لا تزال تستلقي هناك.

أخرجت الحبر الحجري الجديد ووضعته على المنضدة، ثمّ صببت فوقه قليلاً من الماء، وبدأتُ أفركُ ببطء عود الزنجفر إلى الأعلى وإلى الأسفل لأصنع حبراً. وكدت أستهلك نصف العود، ثم قطعت حشوة القطن إلى أربع قطع، قطعتان كبيرتان وقطعتان أصغر حجماً، وجعلتها كلها في كرات بحجم ثلاث بوصات وبوصة واحدة، ولففتها في قطعة الحرير الأحمر لأصنع منها حشية.

«أبتي، هل يمكنني أن أتركك لنصف ساعة؟ أريد أن أنزل إلى المطعم».

يبدو أن ساتسوكو قد استيقظت عندما كنت منهمكاً في عملي ولم ألحظها. كانت تجلس على الأريكة وقد دسّت ساقيها إلى الخلف، وكانت ركبتاها تظهران بين ذيل ردائها الأزرق. لقد تذكّرت وضعية سيشي بوديساتفا الجاثية.

«لماذا تذهبين إلى المطعم، ويوجد لدينا كعكعات الرزّ هذه لأتناولها؟ تفضلي».

«حسناً».

«هذه أول هامو نتناولها معاً منذ ذلك اليوم بعد مسرحية كابوكي، أليس كذلك؟»

«أظن ذلك. . . يا أبتي، ماذا كنت تفعل؟»

«أتقصدين الآن؟»

«لماذا تصنع حبراً قرمزياً؟»

«لا تكوني فضولية كثيراً. هيا جربي هامو».

وما يدريك متى تصبح معلومة غريبة مفيدة لك. فعندما كنت شاباً طفت في أرجاء الصين عدّة مرات، ورأيت هناك وهنا، في اليابان، العديد من الأشخاص الذين يصنعون أوراقاً للفرك والصينيون ماهرون في هذه الحرفة: حتى أنهم يفعلون ذلك في الأيام العاصفة بهدوء، يبللون ورقة بيضاء، وينشرونها على سطح التمثال، وينقرون فوق الحبر، وينتجون عملاً رائعاً. أما اليابانيون فيمضون في عملهم بدقة شديدة، وبتوتر، وبحذر شديد، مبللين الحشوة من جميع الأحجام بالحبر أو بمعجون الحبر، ويفركون كلّ خطّ رفيع بدقة

شديدة، الواحد تلو الآخر. ويستخدمون الحبر الأسود أحياناً، وأحياناً الزنجفر.

«كان هامو ذاك لذيذ الطعم، للتغيير».

عندما بدأت ساتسوكو تحتسي الشاي، انتهزت الفرصة للبدء في أن أقدم لها شرحاً بسيطاً، وقلت: «تسمى قطع القطن المستديرة هذه حشوات».

«بماذا تُستخدم؟»

«تنقعنيها بالحبر الأسود أو بحبر الزنجفر وتضعينها فوق الحجرة المنحوتة لرسمها. إني مغرم بعمل ذلك».

«لكن لا توجد لديك حجرة هنا».

«اليوم لا أحتاج إلى قطعة حجر. سأستخدم شيئاً آخر».

«ماذا؟»

«أريد أن أصبغ باطن قدميك بالحبر وأطبعها على هذه الصفحات المربعة من الورق الصيني».

«لماذا بحق السماء؟»

«أنوي أن أنحت حجر آثار قدمَي بوذا بنموذج قدميك يا ساتسو. وعندما أموت سيرقد رماد جثماني تحت تلك الحجرة. ستكون تلك أقصى سعادتي، النيرفانا».

## ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر)

(تابع)

في البداية، لم يكن في نيتي أن أبوح بما كنت أضمره حول

ساتسوكو. قلت لنفسي إنه من الأفضل أن لا أخبرها بآخر خطة أزمع القيام بها: وهي أن أنحت باطن قدميها على الحجرة بطريقة بوذا، وأن أدفن رماد جسدي تحت تلك الحجرة، شاهدة قبري، شاهدة قبر أتسوغي توكوسوكي. لكني غيّرت رأيي فجأة البارحة وقررت أن أصارحها بذلك. لماذا فعلت ذلك. لماذا أثق بساتسوكو؟

لعل أحد الأسباب هو أنني كنت أريد رؤية ردّة فعلها - التعابير المرتسمة على وجهها، أي تغيير في المزاج، وكنت أريد أن أرى كيف تشعر، بعد أن أحقق غرضي، عندما تحدّق في صورة قدميها المطبوعتين على صحيفة الورق البيضاء. فهي تزهو بقدميها إلى درجة أنها ستُفتن برؤية شكلهما وهما مطبوعتان على الورقة البيضاء، كما لو كانتا قدميْ بوذا. كنت أريد أن أرى وجهها في تلك اللحظة. بالطبع فإنها ستقول إن هذا أكثر الأشياء جنوناً التي يمكنها أن تسمعها في حياتها، لكنني أعرف أنها، في سريرتها، ستكون في غاية السعادة.

وبعد أن أموت، وهو أمر لن يكون بعيداً من الآن، ستجد نفسها تقول: إن هذا الرجل العجوز المجنون يرقد تحت قدميَّ الجميلتين، في هذه اللحظة التي أطأ فيها عظام الرجل العجوز المسكين المدفونة. لا ريب أن ذلك سيمنحها متعة لذيذة، مع أنني أجرؤ على القول إن الشعور بالنفور سيكون أقوى، ولن تتمكن من محو تلك الذاكرة البغيضة بسهولة - بل ربما لن تتمكن من ذلك على الإطلاق.

في هذه الحياة كنت أعشق ساتسوكو على نحو أعمى، أما بعد الموت، لنقل إنني كنت أكنّ لها أي مشاعر بالحقد، فلن تكون لديّ وسيلة أخرى للانتقام: ربما لن تكون لديّ أدنى رغبة في الانتقام بعد أن أموت. بطريقة ما، لا يمكنني أن أصدق ذلك. ومع أن المنطق

يقول إن الإرادة تموت مع الجسد، فقد تكون هناك استثناءات. فلنقل مثلاً إن ذلك الجزء من إرادتي يعشش في داخل إرادتها. عندما تطأ قبري وتشعر كأنها تطأ عظام ذلك الرجل الخرف العجوز، فإن روحي ستظل حيّة، وسأشعر بثقل جسدها كله، وأحسّ بالألم، وأشعر بباطن قدميها المخمليتين الناعمتين الملساوين. وحتى بعد أن أموت، فإني سأدرك ذلك. لا أستطيع أن أصدّق أنني لن أدرك ذلك. وبالطريقة نفسها، ستدرك ساتسوكو وجود روحي، وأتحمّل ثقلها ببهجة عارمة، بل قد تسمع عظامي التي أمست رماداً وهي تصلصل، تضحك ضحكة مكتومة، تئن، وتصدر صريراً. ولا أشكّ في أن ذلك سيحدث - عندما تطأ قبري حقاً. إن مجرد الفكرة بأن آثار قدمَي بوذا تشبه شكل قدميها فإنها ستسمع عظامي تنوح تحت البلاطة: وبين شهقاتي سأصرخ: «إن ذلك يؤلمني! يؤلمني!... ومع أنها تؤلمني، فإني أكون سعيداً - لم أكن أكثر سعادة في حياتي، لكنني أسعد بكثير مما لو كنت لا أزال على قيد الحياة... دوسي أقوى، أقوى».

«اليوم لن أستخدم حجرة»، قلت لها، «سأستخدم شيئاً آخر».

إذا جعلتها هذه الفكرة تشعر بالاشمئزاز، فلا بد أن تظهر تعابير مختلفة قليلاً على وجهها، لكنها لم تقل سوى: «لماذا بحق السماء؟» حتى عندما علمت بأنني سأنحت حجرة آثار قدمَي بوذا على شكل قدميها، وبعد أن أموت، سترقد رفاتي تحت تلك الحجرة، ولم تنتقدني. ثمّ أدركت أن ساتسوكو، سواء اعترضت أم لم تعترض على خطتي، أو على الأقل، أنها وجدت أن هذا أمراً مثيراً للدهشة.

ولحسن الحظ توجد في جناحنا صالة استقبال فيها ثمانية حصر

من الطراز الياباني تجاور غرفة نومي. وطلبت من صبي الفندق أن يحضر لي ملاءتين كبيرتين، ومددتهما على الأرض، الواحدة فوق الأخرى حتى لا ألطخ الحصر. ووضعت صينية عند أحد طرفي الملاءتين ووضعت فوقها حجر الحبر والحشيات، وفي الطرف الآخر، وضعت وسادة ساتسوكو، التي أخذتها من على الأريكة.

«حسناً، يا ساتسو، لن تكون هناك أيّ مشكلة. تعالي واستلقي فوق هاتين الملاءتين، وسأقوم أنا بالباقي».

«ليس من الضروري أن أبدّل ثيابي؟ فلن يلطخ الحبر ثوبي؟»

«لا يمكن أن يلطخ ثوبك. سأغمر باطن قدميك بالحبر فقط»

نفذت ساتسوكو ما طلبته منها. استلقت ووجهها إلى الأعلى، ومدّت ساقيها جنباً إلى جنب بطريقة رائعة، وثنيت قدميها قليلاً لرؤية باطن قدميها على نحو أفضل.

وبعد الانتهاء من كلّ هذه التحضيرات، غمست الحشية بالزنجفر، ثم مسحتها بحشية أخرى كي أحصل على ظل لون أخف. وعندما باعدت بين قدميها بضع بوصات، رحت أربّت على باطن قدمها اليمنى بالحشية الثانية لأحصل على أدق التفاصيل.

لكني وجدت صعوبة في رسم الخطوط بين كعب قدمها وقوس قدمها. كنت أخرق لأنني كنت أجد صعوبة في تحريك يدي اليسرى. ومع أنني قلت لها إن الحبر لن يلامس ثوبها، فلم يحدث ذلك، وتلطّخ الجزء الأعلى من قدمها أو أطراف ثوبها. لكنني كنت مبتهجاً بمواصلة تجفيف قدميها وغمسهما بالحبر مجدداً. اعتراني شعور بالتوتر. بدأت أعيد وأكرر هذه العملية بحماسة لا تني.

وأخيراً أنهيت غمر قدميها بالحبر وفق ما أشتهي. ثمّ رفعت كلّ

قدم إلى الأعلى قليلاً، كل قدم على حدة، وضغطت صفحة الورق المربّعة عليهما من الأسفل لطبع باطن القدم. لكن في كل مرة لم يكن الأمر يسير على ما يرام، ولم أتمكن من طبع الرسم الذي كنت أصبو إليه. لقد أهدرت الورقات العشرين المربعة كلها. هاتفت بائع القرطاسيّة، وطلبت منه أن يرسل لي أكثر من أربعين صفحة مربعة أخرى على الفور. وفي هذه المرة، غيّرت طريقتي، فقد غسلت الحبر من على قدميها تماماً، حتى بين أصابع قدميها. فقد أجلستها على الكرسي واستلقيت على ظهري متشنجاً، ورحت أمسح باطن قدميها. ثمّ طلبت منها أن تطأ بقدميها على الورقة.

وكنت أزمع العمل على إزالة جميع الآثار الناجمة عن ذلك في الغرفة قبل أن تعود إتسوكو والآنسة ساساكي، وكنت أنوي أن أعطي الصبي الصفحات المطبوعة، وأرسل عشرات الحشوات إلى بائع القرطاسيّة ليحتفظ بها، وأن أستقبلهما وكأنّ شيئاً لم يكن. لكن لسوء الحظ، لم تسر الأمور كما خططت. فقد عادتا في الساعة التاسعة، أبكر بكثير مما كنت أتوقع. إذ سمعت طرقاً على الباب، لكنني حتى قبل أن أجيب، فُتح الباب ودخلتا. فاختفت ساتسوكو على الفور في الحمّام، وكانت تتناثر في أرجاء الغرفة اليابانية بقع حمراء لا تعد ولا تحصى فوق أرضية بيضاء. تبادلت إتسوكو والآنسة ساساكي نظرات مليئة بالحيرة. وجاءت الآنسة ساساكي لتقيس ضغط دمي بهدوء.

«إنه ٢٣٢»، قالت بتجهم.

كانت الساعة تقارب الحادية عشرة صباحاً عندما عرفت أن ساتسوكو قد عادت إلى طوكيو دون أن تخبرني بذلك.

عندما لم أرها في غرفة الطعام عند الإفطار ظننت أنها لا تزال

نائمة كعادتها، لكنها كانت حينذاك متوجهة إلى المطار. ثم جاءت إتسوكو إلى غرفتي لإخباري بذلك النبأ السيّئ.

«متى عرفت ذلك؟» سألتها.

«الآن. ذهبت لأرى إن كان بإمكاني أن أرافقها إلى أي مكان اليوم، لكن موظف الاستقبال قال إن السيدة أوتسوغي قد غادرت بالسيارة إلى مطار أوساكا».

«هراء! كان يجب أن تعرفي قبل الآن».

«هذا سخيف! كيف يمكنني أن أعرف؟»

«توقفي عن الكذب، من الواضح أنك أنتِ من دبّر كل ذلك».

«حسناً، إنك مخطئ. لقد سمعت ذلك لأول مرة من موظف الاستقبال. يبدو أنها أخبرته أنها ستعود في وقت مبكر بالطائرة، وأنه يجب ألا يذكر ذلك لأبيها أو لأي شخص حتى يتاح لها الوقت لتصل إلى المطار: لقد صدمت كثيراً».

«إنك كاذبة! إني متأكّد من أنك أغضبتِها وجعلتِها تغادر! كنت أنتِ وكوغاكو بارعتين دائماً في خداع الناس وإثارة المشاكل. من السيّئ أنني نسيت ذلك».

«إنك شنيع! كيف يمكنك أن تقول شيئاً كهذا؟»

«آنسة ساساكي».

«نعم سيدي».

«لا تقولي لي نعم سيدي. أراهن أنك سمعت ذلك من إتسوكو - إنكما تخدعاني! لقد بذلتما كل ما بوسعكما لإزعاج ساتسوكو».

«إن كنت تفكر بهذه الطريقة، فإني أظن أن من الأفضل أن نعذر

الآنسة ساساكي. آنسة ساساكي، اذهبي وانتظري في البهو، فهذه فرصة جيدة لأقول لأبي بضعة أشياء. إذا أراد أن يدعوني كذابة، فإني سأتكلّم بالصراحة نفسها».

«إن ضغط دمه مرتفع، يجب أن تكوني حذرة- ».

«نعم، نعم، أفهم ذلك».

ثمّ بدأت إتسوكو تتكلم.

«ليس صحيحاً على الإطلاق أنني عاملت ساتسو بأسلوب غير مهذب. أظن أنّ لديها سبباً خاصّاً جعلها تعود إلى طوكيو في وقت مبكر. أتساءل إن لم يكن لديك أي فكرة عن السبب الذي جعلها تذهب يا أبي». قالت ذلك بطريقة ساخرة لتبدأ شجاراً معي.

فأجبت، «لست الوحيد الذي يعرف أنها على علاقة جيدة بهاروهيسا. إنها تقول ذلك علناً، وجوكيشي يعرف كلّ شيء عن ذلك أيضاً. إن هذا لم يعد سراً لأحد. إلا أن ذلك لا يثبت أنهما يقيمان علاقة حميمية، ولا أحد يفكر في ذلك أيضاً».

«حقاً؟» ابتسمت إتسوكو ابتسامة ساخرة، ومضت تقول: «لست متأكّدة إن كان عليّ أن أذكر ذلك. لكن يبدو أن موقف جوكيشي غريب بعض الشيء. لنفترض أنه يوجد شيء ما بين ساتسو وهاروهيسا، ألن يغمض عينيه بكل بساطة عنهما؟ إن ذلك يجعلني أشكّ في أن لديه امرأة أخرى، امرأة بالإضافة إلى ساتسو. وبالطبع سيصمت ساتسو وهاروهيسا حول هذا الأمر. وربما كانوا ثلاثتهم متفاهمين في هذا الأمر -».

عند ذلك، تملّكني غضب شديد، وشعور بالكراهية لا يمكن وصفه. لكني تمالكت نفسي حتى لا أصبّ جام غضبي على المرأة،

وحتى لا ينفجر أحد الشرايين داخل جسمي، لكن نوبة دوار مفاجئة اعترتني. عندما رأت تعابير وجهي الغاضبة، شحب وجه إتسوكو أيضاً.

«لا أريد أن أسمع ما تقولينه. توقّفي عن قول ذلك وعودي إلى البيت». أبقيت صوتي منخفضاً قدر الإمكان، لكني كنت أرتعش وأنا أكلّمها. لماذا غضبت بهذا الشكل؟ هل لأن الثعلب العجوز فاجأتني بأن كشفت عن سرّ لا يعرفه ولا يشك فيه أحد حتى الآن - أو لأنها كشفت شيئاً كنت أدركه منذ زمن بعيد، لكنني كنت أحاول دائماً أن أنساه؟

مضت إتسوكو. ولمّا كنت أعاني من آلام حادة في ظهري، وفي رقبتي، وفي كتفيّ، بسبب الجهد الذي بذلته البارحة، ولأنني لم أنم الليلة الماضية، تناولت ثلاثة أقراص أدالين وثلاثة أقراص أتراكسين، وطلبت من الآنسة ساساكي أن تضع لصقات سالونباس فوق جميع الأماكن التي تؤلمني، وأويت إلى الفراش. لكن لم يغمض لي جفن. فكّرت بأن آخذ حقنة لومينال، لكنني تخليت عن الفكرة لأنني خشيت أن أنام لفترة طويلة. وقرّرت أن أستقل قطار بعد الظهر (لم أسافر بالطائرة قط)، وأوافي ساتسوكو في البيت. فحجز لي صديق يعمل في مكتب أنباء مينيتشي بطاقة في آخر لحظة.

رجتني الآنسة ساساكي ألاّ أذهب، واعترضت بحرص شديد، وقالت: «يجب ألا تفكّر في السفر عندما يكون ضغط دمك عالياً جداً»، وأضافت، «أرجوك، يجب أن ترتاح ما لا يقل عن ثلاثة أو أربعة أيام، حتى نتأكّد أنه عاد إلى وضعه الطبيعي»، لكني لم أنصت لما قالته.

جاءت إتسوكو لتعتذر، وقالت إنها سترافقني إلى طوكيو. قلت لها إذا أرادت أن تأتي، فعليها أن تركب في عربة أخرى، لأن مجرد رؤيتها يستفزني.

## ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر)

غادرتُ كيوتو البارحة في الساعة ٣/٠٢ عصراً. ركبت أنا والآنسة ساساكي في الدرجة الأولى، وركبت إتسوكو في الدرجة الثانية. وصلنا طوكيو في الساعة التاسعة. كانت ساتسوكو وجوكيشي وكوغاكو وزوجتي جميعاً ينتظرون على رصيف المحطة لاستقبالي. وكان معهم كرسي للمعوقين لي، إما لأنهم كانوا يظنون أنني أجد صعوبة في السير، أو لأنهم قرروا أنه يجب ألا يسمحوا لي أن أمشي. لا شك أن إتسوكو كانت قد أخذت الأمر على عاتقها وطلبت منهم ذلك على الهاتف.

«هذا أمر سخيف. فأنا لست مشلولاً».

استشطت غضباً وازداد حنقي، حتى أحسست بيد ناعمة تحتضن يدي. كانت اليد هي يد ساتسوكو.

«الآن يا أبتي، من الأفضل لك أن تفعل ما أقوله».

هدأت عن طيب خاطر، وبدأ الكرسي يتحرك على الفور. أخذوني بالمصعد إلى ممر تحت الأرض وسرنا في ممر طويل معتم. كان الجميع يجرون ورائي، وانطلق الكرسي بسرعة كبيرة، فوجدوا صعوبة في اللحاق بي. وظلت زوجتي بعيدة عنا فاضطر جوكيشي إلى أن يعود ليبحث عنها. دهشت لاتساع الممرات تحت الأرض

وتعقدها في محطة طوكيو. خرجنا من طرف مارونيشي، أسفل ممر خاص يؤدي إلى ساحة المدخل. كانت توجد بانتظارنا سيارتان. ركبت في السيارة الأولى وجلست ساتسوكو والآنسة ساساكي إلى جانبي، ولحق بنا الآخرون في السيارة الثانية.

«سامحني يا أبي. إني آسفة لأنني غادرت من دون أن أخبرك».

«أظن أنك كنت مرتبطة بموعد ما».

«لا، لم يكن الأمر كذلك. بصراحة، لقد تعبت كثيراً لأنني سايرتك طوال النهار البارحة. ببساطة لم أعد أتحمّل أن تداعب قدميَّ بهذه الطريقة من الصباح حتى المساء. إن يوماً واحداً يكفي لجعلي منهكة تماماً، لذلك هربت. أنا آسفة». كان في نبرتها شيء مدروس، شيء لا يشبه نبرتها المعتادة.

«لا بد أنك متعب يا أبتي. لقد غادرت الطائرة في الساعة ٢٠/ ١٢ ووصلت إلى هنا الساعة الثانية! يوجد فرق كبير في السفر بالطائرة، أليس كذلك...؟»

## مقتطف من تقرير الممرضة ساساكي

عاد المريض إلى طوكيو في ليلة ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) وأمضى معظم اليومين التاليين (١٨ و ١٩ تشرين الثاني) مستلقياً في السرير، ربما بسبب الإعياء المتراكم، على الرغم من أنه كان ينهض أحياناً ويذهب إلى غرفة مكتبه ليدوّن في مفكرته، لكنه أصيب بأزمة عند الساعة الحادية عشرة إلا خمس دقائق في صباح العشرين من هذا الشهر، كما هو وارد أدناه في سجل التمريض.

في السابق، عادت السيدة ساتسوكو أوتسوغي إلى البيت وحدها من كيوتو، ووصلت إلى البيت قرابة الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم السابع عشر. خابرت زوجها على الفور، وقالت له إنها عادت قبل وصول الرجل العجوز لأنها لم تعد تحتمل حالته العقلية الغريبة، التي كانت تزداد سوءاً. ناقش السيد والسيدة أوتسوغي الأمر، ثم ذهبا لاستشارة الدكتور إينو، وهو طبيب نفساني صديق لهما، دون أن يقولا شيئاً للسيدة أوتسوغي العجوز. وقال الطبيب إنه يرى أن الرجل العجوز ربما كان يتعرض لحالة تدعى «دافع جنسي استثنائي»، وإن حالته ليست خطيرة حالياً ليعتبرها نوعاً من الأمراض العقلية، وإن رغبة جنسية دائمة تعتريه، ولمّا كان ذلك يساعده في البقاء على قيد الحياة، فيجب أن تأخذا ذلك في الاعتبار في تصرفكما نحوه. واقترح أن تحرص السيدة أوتسوغي على معاملة والد زوجها بلطف، وأن تحيطه بالعناية، وأن لا تثيره على نحو غير ضروري، لكن يجب عليها ألا تتجاهل رغباته أيضاً. وهذا هو العلاج الوحيد الذي يمكن وصفه له.

وبعد عودة المريض إلى طوكيو، حرص السيد والسيدة أوتسوغي على بذل كلّ ما بوسعهما لتنفيذ نصيحة الطبيب.

## الأحد، ٢٠

السماء صافية:

الساعة الثامنة صباحاً. درجة الحرارة: ٩٥,٩٠؛ النبض: ٧٨؛ التنفس: ١٥؛ ضغط الدم: ١٣٢/ ٨٠. لم يطرأ تغيير على حالته العامة. توجد مؤشرات على تهكم وسخرية في خطابه وسلوكه.

دخل المريض إلى غرفة مكتبه بعد أن تناول طعام الفطور، ربما ليدوّن شيئاً في مفكرته.

الساعة الحادية عشرة إلا خمس دقائق قبل الظهر عاد إلى غرفة نومه وهو في حالة شديدة من الإثارة. كان يبدو أنه يحاول أن يقول شيئاً. ساعدته في الصعود إلى سريره ليرتاح. النبض: ١٣٦، منقبض، لكنه لم يكن متقطّعاً أو غير منتظم. التنفس: ٢٣. ضغط الدم، ١٥٨/ ٩٢. بدا أنه يشتكي من خفقان في القلب ومن صداع شديد. الوجه ملتو من الخوف. خابرت الدكتور سوجيتا، لكنه لم يعطني أي تعليمات خاصة. من عادة هذا الطبيب تجاهل ملاحظات الممرضة.

الساعة الحادية عشر والربع قبل الظهر. النبض: ١٤٣؛ التنفس: ٣٨؛ ضغط الدم: ١٧٨/ ١٠٠. خابرت الدكتور سوجيتا للمرة الثانية، لكنه لم يقدم لي تعليمات أيضاً. قست درجة حرارة الغرفة، وفحصت الإضاءة، والتهوية. زوجة المريض هي الشخص الوحيد من بين أفراد العائلة التي تقف بجانب سريره. اتصلت بمستشفى تورانومون وطلبت أسطوانة أوكسجين.

الساعة الثانية عشرة إلا ثلث قبل الظهر. وصل الدكتور سوجيتا. قدمت له تقريراً عن التقدّم المحرز. بعد أن فحصه الطبيب، زرقه بحقنة من فيتامين كاف وكونتومين ونيكوفيلين. وبينما كان الدكتور سوجيتا على وشك أن يخرج، أطلق المريض صرخة عالية فجأة وغاب عن الوعي. اعترت جسمه كله تشنجات عنيفة، أعقبها هياج شديد، باذلاً محاولات للسيطرة على نفسه. وكان هناك ازرقاق ملحوظ في شفتيه وعلى أطراف أصابعه. سلس في البول والغائط.

استمرت النوبة حوالى اثنتي عشرة دقيقة؛ ثمّ غطّ المريض في نوم عميق.

الساعة الثانية عشرة واثنتي عشرة دقيقة ظهراً. عندما كانت السيدة أوتسوغي تقوم على رعاية زوجها، اشتكت من شعور بالدوار، فطلبت منها الذهاب والاستلقاء في الغرفة الأخرى، وتماثلت للشفاء بعد حوالى عشر دقائق. وحلت السيدة إتسوكو شيروياما محل أمّها في رعايته.

الساعة الواحدة إلا عشر دقائق. المريض نائم بهدوء. النبض: ٨٠؛ التنفس: ١٦. دخلت السيدة ساتسوكو أوتسوغي إلى غرفة المريض.

الساعة الواحدة والربع بعد الظهر، غادر الدكتور سوجيتا، بعد أن طلب مني أن أرفض استقبال الزوار.

الساعة الواحدة وخمسة وثلاثون دقيقة بعد الظهر. درجة الحرارة: ٩٨؛ النبض: ٩٨؛ التنفس: ١٨. سعال متقطع، جسمه ينضح عرقاً بارداً. غيّرت رداء كيمونو المريض الليلي.

الساعة الثانية وعشر دقائق بعد الظهر، جاء الدكتور كويزومي، وهو أحد الأقرباء، لرؤية المريض. قدمت له تقريراً عن حالته.

الساعة الثالثة إلا ثلث بعد الظهر. صحا وأصبح بكامل وعيه. لا توجد مشكلة في الحديث. اشتكى المريض من آلام واخزة تنتشر في وجهه ورأسه ومؤخرة رقبته. اختفى الألم في ذراعه اليسرى منذ أن اعترته النوبة. بعد تعليقات الدكتور كويزومي، أعطيته قرص ساليدون وقرصي أدالين. ومع أنه تعرّف على السيدة أوتسوغي الشابة، فقد أغمض عينيه ولبث هادئاً.

الساعة الثالثة إلا خمس دقائق بعد الظهر. تبوّل طبيعي ، ١٠ سي سي، غير معكّر.

الساعة التاسعة إلا ربع مساء. اشتكى من شدة العطش. أعطته السيدة أوتسوغي ١٥٠ سي سي من الحليب، و٢٥٠ سي سي من حساء الخضار.

الساعة الثانية عشرة إلا ربع ليلاً. نوم خفيف. يبدو أن المريض تجاوز مرحلة الخطر. لكن بسبب إمكانية حدوث انتكاسة نصحت بأن يراه الدكتور كاجيورا من جامعة طوكيو. فذهب السيد أوتسوغي الشاب لإحضار الطبيب على الفور، على الرغم من تأخر الوقت.

بعد أن فحصه الدكتور كاجيورا، قال إن سبب هذه الجلطة ناجم عن تشنجات أوعية الدماغ الدموية، وليس نتيجة نزيف دماغي، لذلك لا شيء يدعو إلى القلق، وطلب مني أن أعطيه حقنة ٢٠ سي سي، فيها ٢٠ في المئة من الغلوكوز، و ١٠٠ ملغ من فيتامين بي، و ٥٠٠ ملغ من فيتامين سي، مرتين في اليوم، في الصباح وفي المساء، بالإضافة إلى قرصيْ أدالين، وربع قرص سولفين قبل النوم بنصف ساعة.

قدم لي الدكتور كاجيورا تعليمات مفصّلة: والأهم من كل ذلك أن يرتاح المريض لمدة أسبوعين، وعدم استقبال الزوّار؛ وضرورة تأجيل الاستحمام حتى تتحسن حالته؛ وحتى بعد أن يستطيع أن يغادر السرير عليه أن يمكث في غرفته، وإذا تبين أن حالته تسمح بذلك، يمكنه أن يمشي قليلاً في الحديقة في الأيام المشمسة، لكنه يمنع من الخروج من البيت منعاً باتاً، ويجب أن يتجنّب القلق أو الاكتئاب،

وأن يظل عقله مرتاحاً قدر الإمكان؛ ويجب منعه من الكتابة في مفكرته منعاً تاماً.

## مقتطف من السجلّ السريري للدكتور كاتسومي

**١٥ كانون الأول (ديسمبر)**

صحو، أعقبه ضباب كثيف، تلاه صحو:

**الشكوى الرئيسية:** نوبات ذبحة صدرية.

التاريخ. ارتفاع ضغط الدم منذ ثلاثين سنة. الإنقباضي: ١٥٠/ ٢٠٠، الانبساطي ٧٠/ ٩٥، ويصل أحياناً إلى ٢٤٠. قبل عشر سنوات، تعرّض لسكتة دماغية جعلته يجد شيئاً من الصعوبة في المشي. ولسنوات عديدة، كان ينتابه ألم عصبي في ذراعه اليسرى، وخاصة في يده اليسرى، وكان البرد يزيد الألم. أصيب بمرض تناسلي عندما كان شاباً؛ وكان يشرب كثيراً، أما الآن فلا يتناول سوى كأس أو كأسين من الساكي. أقلع عن التدخين منذ عام ١٩٣٦.

**دراسة الحالة الراهنة.** منذ حوالى سنة تقريباً أشار هبوط موجات ST وتسطيح موجة T في التخطيط القلبي إلى احتمال وجود آفة في عضلة القلب، لكن المريض لم يشتك حتى فترة قريبة من قلبه. وفي ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر)، أصيب بنوبة من الصداع الحادّ، وتشنجات، وغياب عن الوعي، شخّصها الدكتور كاجيورا بأنها

تشنجات في الأوعية الدموية؛ إحراز تقدّم طبيعي نتيجة العلاج الموصوف. في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) تشاجر مع ابنته التي لا يحبّها، وأحسّ بآلام ذبحة صدرية في الجزء الأيسر من صدره لمدة خمس عشرة دقيقة تقريباً؛ بدأت تنتابه نوبات متكرّرة مماثلة منذ ذلك الحين. لم تظهر صورة تخطيط القلب الجديدة أي تغير هام بالمقارنة بصورة السنة الماضية. وفي ليلة ٢ كانون الأول (ديسمبر)، بعد إجهاد في التغوط، اعترته آلام خانقة شديدة في المنطقة المحيطة بالقلب لمدة تقارب الساعة؛ ودعي طبيب في حيّ قريب، وأشار تخطيط القلب في اليوم التالي إلى احتمال وجود احتشاء. وفي ليلة ٥ كانون الأول (ديسمبر)، أصيب بنوبة شديدة أخرى لمدة تقارب خمس عشرة دقيقة، أعقبتها نوبات طفيفة يومية متكرّرة، لاسيما بعد حركة الأمعاء. وشملت المعالجة أدوية مختلفة عن طريق الفم، واستنشاق الأوكسجين، وزرق حقن بابافيرين، والمسكّنات، وما إلى ذلك.

في ١٥ كانون الأول (ديسمبر)، أُدخل المريض إلى مستشفى جامعة طوكيو، قسم الطب الداخلي، وخصّصت له الغرفة «أ». سمعت تقريراً عن المريض من الدكتور سوجيتا، الطبيب المعالج، ومن السيدة ساتسوكو أوتسوغي، وأجريت فحصاً سريعاً. المريض بدين بعض الشيء؛ لا توجد دلائل على إصابته بفقر الدم أو باليرقان، وتوجد وذمة طفيفة في أسفل الساقين. ضغط الدم: ١٥٠/ ٧٥؛ النبض: ٩٠، منتظم. لا يوجد انتفاخ مرئي في عروق الرقبة. الصدر: خرخرة رطبة خفيفة في الفصين الأدنى في الرئتين، لا يوجد تضخم في القلب، خرخرة انقباضية خفيفة في الصمام الأبهري.

البطن: لا يوجد فحص للكبد أو الطحال. يوجد قليل من الاضطراب في القوة المحركة للذراع والساق اليمنى، لكنها لا تؤدي إلى إضعاف القدرة العامة، ولا يوجد دليل على وجود ارتكاس غير طبيعي. ارتكاسات هزّ الركبة ضعيفة على كلا الجانبين بالدرجة نفسها.

لا توجد دلائل على وجود حالات غير طبيعية في الأعصاب القحفية؛ ويقول أفراد العائلة إنه لم يطرأ أي تغيير على كلامه، مع أن المريض نفسه يعتبر أنه طرأ عليه شيء من الضعف منذ أن أصيب بالسكتة. وحذّر الدكتور سوجيتا من حساسيته غير العادية للعقاقير - يكون ثلث أو نصف الجرعة المعتادة فعالاً جداً، وتكون الكمية الطبيعية قوية جداً. قالت السيدة أوتسوغي إنه يجب تفادي الحقن الوريدية لأنها تسبب له تشنجات.

## ١٦ كانون الأول (ديسمبر)

صحو. غيوم متفرقة.

ربما بسبب تدني شعوره بالقلق بعد دخوله المستشفى، نام المريض جيداً ليلة البارحة. في وقت قريب من الصباح، أحسّ بآلام ذبحة طفيفة في أعلى الصدر لبضع ثوانٍ، ربما كانت عصابية. أوصيت بإعطائه مسهّلاً حتى لا يصاب بالإمساك، لكنه كان يتناول باير إيزتيزين الذي طلبه من ألمانيا. ولمّا كان يعاني منذ فترة طويلة من ضغط الدم ومن ألم في الأعصاب، وهو على معرفة جيدة بالأدوية - تكفي لمنافسة طبيب شاب. فقد أحضر أدوية عديدة اخترت بعضها. وفي حال تعرضه لنوبة أخرى، يتعين عليه أن يأخذ

أقراص نتروغليسرين. يوجد جهاز أوكسجين تحت اللسان بجانب سريره، بالإضافة إلى أدوات للحقن الفوري. ضغط الدم: ١٤٢/ ٧٨؛ تخطيط القلب كما كان في ٣ كانون الأول (ديسمبر)، مشيراً إلى عدم انتظام الـ ST و الـ T واحتمال احتشاء الحاجز الأمامي؛ وأظهرت صورة الأشعة للصدر وجود تضخم طفيف في القلب، ومؤشرات على تصلب الشرايين. لا يوجد تسارع محسوس في ترسب ضغط الدم، أو في زيادة عدد كريات الدم البيضاء، أو في ارتفاع SGOT. لدى المريض تضخّم في البروستات منذ بضع سنوات، ويقول إنه غالباً ما كان يعاني من صعوبة في التبوّل، والبول معكر؛ أما اليوم فالبول صاف، لا يوجد فيه زلال ولا أثر للسكر.

## ١٨ كانون الأول (ديسمبر)

الطقس صحو، ثم غائم.

لم تطرأ نوبات حادّة منذ دخوله المستشفى. بصورة رئيسية آلام ذبحة معتدلة في الجانب الأعلى أو الأيسر من الصدر، قلما تدوم لأكثر من بضع دقائق. يجب تزويده بمدفأة كهربائية وموقد غاز البروبان لتحسين قدرة المشعاع الذي لا يمكن الوثوق به، بما أن البرد يسبب نوبات قلبية، بالإضافة إلى آلام عصبية.

## ٢٠ كانون الأول (ديسمبر)

سحب خفيفة، ثم صفت السماء.

من الساعة الثامنة إلى الساعة الثامنة والنصف تقريباً من ليلة البارحة، عانى من آلام ذبحة من الضفيرة الشمسية إلى عظم القصّ

الظهري. ثم أحس بالارتياح بعد أن تناول أقراص النتروغليسرين وحقن مسكّن ومميع للأوعية الدموية أعطاه إياها الطبيب المناوب. لم يطرأ أي تغيير على تخطيط القلب. كان ضغط الدم ١٥٦/٧٨.

## ٢٣ كانون الأول (ديسمبر)

السماء صافية، ثم غيوم متفرقة.

نوبات خفيفة يومياً. بسبب السكر في البول، تناول المريض طعام إفطار دسم هذا الصباح، لقياس درجة السكر في الدم.

## الأحد، ٢٥ كانون الأول (ديسمبر)

السماء صافية، تشوبها بعض الغيوم.

جاء اتصال من المستشفى عند الساعة السادسة والربع مساء، أبلغوا فيه أن المريض قد تعرض لنوبة آلام ذبحة صدرية حادّة في الجانب الأيسر من الصدر لمدة تزيد على عشر دقائق. أعطيت الطبيب المناوب تعليمات طوارئ ، ووصلت إلى المستشفى في الساعة السابعة مساء. كان ضغط الدم ١٨٥/٩٧؛ والنبض ٩٢، منتظم. هدأ المريض بعد التخدير مباشرة. غالباً ما تأتيه النوبات يوم الأحد، ربما بسبب القلق نتيجة غياب طبيبه. ضغط الدم يميل للارتفاع أثناء النوبات.

## ٢٩ كانون الأول (ديسمبر)

السماء صافية، أعقب ذلك هطول بَرَد وغيوم كثيفة، ثم صفت السماء.

لم يصب بنوبات حادّة مؤخراً. تخطيط القلب يؤكّد على الشكّ في وجود احتشاء. مصل الدم واسيرمان سلبي. سنبدأ غداً في استعمال مميع أوعية جديد من أمريكا.

### ٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٦١

الجو صاف، ثمّ غائم، أعقبته أمطار.

يبدو أنه يتقدّم إيجابياً، ربما كان بتأثير الدواء الجديد. البول عكر الآن، مليء بخلايا الدم البيضاء.

### ٨ كانون الثاني (يناير)

الجو صحو، أعقبه جو سديمي كثيف، ثم أصبح صحواً.

فحص الدكتور ك من قسم طب المجاري البولية المريض. أفيد عن وجود تضخّم في البروستات وعدوى مكروبية ونصح بتدليك البروستات، ومضادات حيوية. طرأ تحسن طفيف على مخطط القلب. ضغط الدم ١٤٣/ ٦٥.

### ١١ كانون الثاني (يناير)

الجو غائم جزئياً.

آلام قطنية حادّة متزايدة لعدّة أيام؛ وبعد ظهر اليوم، ألم خانق في جانبَي الصدر دام حوالى خمس عشرة دقيقة. انتابته أسوأ النوبات مؤخراً. ضغط الدم ١٧٦/ ٩١؛ النبض ٨٧. أحسّ بالارتياح بعد تناوله أقراص النتروغليسرين ومميع أوعية ومسكّن. لم يطرأ أي تغيير يذكر على مخطط القلب.

### ١٥ كانون الثاني (يناير)

الجو صاف.

من صورة الأشعة البارحة، تم تشخيص تشوّه في الفقرات. يجب أن يبقى الظهر مستقيماً، ويجب أن يستخدم سريراً بألواح خشبية.

### ٣ شباط (فبراير)

الطقس جميل.

تحسّن كبير في تخطيط القلب، حتى النوبات القلبية الطفيفة نادرة. ربما يصبح جاهزاً للخروج من المستشفى قريباً.

### ٧ شباط (فبراير)

غائم جزئيا.

غادر المستشفى وهو في حالة نفسية جيدة. الجو دافئ جداً في مثل شهر شباط. وبما أن البرد يضرّه كثيراً، أرسلناه عند منتصف بعد الظهر إلى البيت في سيارة فيها تدفئة. يبدو أنه يوجد موقد ضخم لتدفئة غرفته.

## مقتطف من ملاحظات السيدة إتسوكو شيروياما

بعد إصابته بالسكته الدماغية بقليل في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر)، بدأ أبي يعاني من نوبة قلبية؛ وفي ١٥ كانون الأول/ ديسمبر أُدخل إلى مستشفى جامعة طوكيو. ومن حسن الحظ أنه

تماثل للشفاء بفضل الدكتور كاتسومي، وعاد إلى بيته في ٧ شباط (فبراير). لكنه لم يشف تماماً من النوبة القلبية - حتى الآن يشعر بالضيق لتعرّضه لنوبات خفيفة بين الحين والآخر، ويجب أن يعاود استخدام النتروغليسرين. ومنذ شباط (فبراير) وحتى نهاية آذار (مارس) لم تطأ قدمه خارج غرفة نومه. وبقيت الآنسة ساساكي لتعتني بأمي. وبمساعدة أوشيزو كانت تعتني بأبي منذ عودته إلى البيت. وتطعمه جميع وجبات طعامه، وتساعده في الذهاب إلى الحمام، وما إلى ذلك.

وبما أنني لست مشغولة جداً في كيوتو هذه الأيام، فإني أمضي نصف الشهر في الاعتناء بأمّي بالنيابة عن الآنسة ساساكي. وما إن يراني أبي، حتى يتكّدر مزاجه، لذلك فإني أبذل كلّ ما بوسعي أن أبتعد عن بصره. وتعاني كوغاكو من المشكلة نفسها معه، وساتسوكو في وضع شديد الحساسية والصعوبة. فهي تحاول أن تظهر له محبة، كما اقترح الدكتور إينو، لكن إذا أبدت له الكثير من المحبة والحنان، أو إذا بقيت إلى جانب سريره لفترة طويلة، فإن ذلك قد يثيره إلى درجة كبيرة. وفي بعض الأحيان، كان ذلك يسبب له نوبة. ومع ذلك، فإن لم تأت لرؤيته غالباً، ينزعج، وتزداد حالته سوءاً.

يبدو أن أبي متورط في مشكلة كما هي ساتسوكو. فقد يكون تعرضه لنوبة قلبية مؤلماً جداً، ومع أنه يدّعي بأنه لا يهاب الموت، فهو يخشى الآلام الجسدية. ويمكنك أن تعرف أنه يجاهد في سريرته لتحاشي أن تعامله ساتسوكو بحميمية شديدة، مع أنه لا يستطيع تحمّل الابتعاد عنها تماماً.

لم أصعد قط إلى الطابق العلوي لرؤية القسم الذي يقيم فيه

جوكيشي وساتسوكو من البيت. وحسب الآنسة ساساكي، فإنهما لم يعودا ينامان في غرفة النوم نفسها، ويبدو أن ساتسوكو قد انتقلت إلى غرفة الضيوف. وكنت أسمع كذلك أن هاروهيسا يتسلل بين الحين والآخر إلى الطابق العلوي.

وذات يوم عندما عدت إلى كيوتو، تلقيت مكالمة هاتفية من أبي، يطلب فيها مني أن أعيد بعض الرسوم لقدمي ساتسوكو كان قد تركها مع بائع القرطاسية، وأن أطلب من النحات الذي كنا قد تكلّمنا معه سابقاً أن ينحت شاهدة قبر بنفس طريقة آثار قدمي بوذا. وقال إن سجلات الصينيين تصف أن طول آثار قدمي بوذا واحد وعشرون بوصة وعرضها سبع بوصات، مع علامات عجلة على كلتا القدمين. ولا توجد حاجة إلى نحت العجلات، لكنه يريد أن يرسم قدمَي ساتسوكو، من دون تشويه، وبالطول نفسه. وطلب مني أن أتأكد من أن يتم العمل بهذه الطريقة تماماً.

لعلي لا أستطيع أن أنفّذ هذا الطلب المضحك، فاتصلت به وقلت له إن كبير النحاتين ذهب في رحلة إلى كيشو، وإنه سيردّ في وقت لاحق. وبعد بضعة أيام، تلقيت مخابرة أخرى من أبي يطلب فيها مني أن أرسل له جميع الرسوم إلى طوكيو. وفعلت كما قال.

وأخيراً سمعت من الآنسة ساساكي أن الرسوم قد وصلت. وقالت إن أبي يمعن النظر في هذه الرسوم الغريبة وإنه اختار أفضلها، وكان يمضي ساعات محدقاً فيها، واحدة واحدة، بافتنان. وكانت تخشى أن يستثار ثانية، لكنها لم تتمكن من حرمانه من هذه المتعة الصغيرة. فعلى الأقل، فهي ليست سيئة كما هو الحال مع ساتسوكو.

وفي حوالى منتصف نيسان (أبريل) بدأ يمشي لمدة نصف ساعة

في الحديقة، إذا كان الطقس يسمح بذلك. وكانت الممرضة ترافقه عادة، لكن ساتسوكو كانت تقوده بيده أحياناً.

وكان ذلك أيضاً عندما حفرت الحديقة للبدء في إقامة حوض السباحة التي وعد بها.

«لماذا تدفع كلّ هذه النفقات؟» سألت ساتسوكو زوجها، «فعندما يحلّ الصيف، لن يتمكن أبي من الخروج إلى الشمس في جميع الأحوال».

لكن جوكيشي لم يوافقها، وقال: «إن رأس الرجل العجوز مليء بأحلام اليقظة حول حوض السباحة كما هو حال الأطفال أيضاً».

# هذا الكتاب

في البداية، لم يكن في نيتي أن أبوح بما كنت أضمره حول ساتسوكو. قلت لنفسي إنه من الأفضل أن لا أخبرها بآخر خطة أزمع القيام بها: وهي أن أنحت باطن قدميها على الحجرة بطريقة بوذا، وأن أدفن رماد جسدي تحت تلك الحجرة، شاهدة قبري، شاهدة قبر أتسوغي توكوسوكي. لكني غيّرت رأيي فجأة البارحة وقررت أن أصارحها بذلك. لماذا فعلت ذلك. لماذا أثق بساتسوكو؟



منشورات
2013
طوى